قصة الصحافة العربية
في مصر
منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين

الدكتور عبد اللطيف حمزة
أستاذ ورئيس قسم الصحافة
بكلية الآداب - جامعة القاهرة
(سابقا)

الطبعة الثانية
١٩٨٥

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ الصحافة في كل أمة من الامم هو تاريخ المعارك القوية التي خاضتها الصحف في سبيل الحرية ، وتاريخ المواقف الحرجة والليالي السوداء التي قضاها المحررون الشجعان في أعماق السجون من أجل المبادىء ومن أجل الحرية .

وتاريخ الصحافة في كل أمة هو تاريخ الفكر والفن اللذين فتحت لهما الصحف أبوابها ، وخصصت لهما كثيراً من صفحاتها . وقامت برسالتها كاملة من هذه الناحية .

وتاريخ الصحافة في نهاية الامر هو تاريخ النشاط الاجتماعي الذي أوجبت الصحف على نفسها القيام بتسجيله ، كما أوجبت على نفسها أن تكون عاملاً من عوامل ازدهاره .

* * *

وصحافة الامة العربية كغيرها من صحافات الامم الاخرى لها تاريخ مليء بالحوادث والخطوب ، مليء كذلك بالافكار والآراء

والمبادىء ، ملىء بالتيارات الفكرية والادبية والفنية والاجتماعية . وهو تاريخ مضيء في أكثر جوانبه . ولكنه مظلم في جوانبه الاخرى .

* * *

غير أن الصحافة العربية سيئة الحظ من ناحية واحدة فقط ، هي ناحية التأريخ . فمنذ أرخ (الكونت فيليب دي طرازى) لهذه الصحافة العربية في كتابه المعروف بهذا الاسم لم تجد هذه الصحافة العربية من يؤرخ لها بطريقة علمية صحيحة - أعني بطريقة ليست كطريقة الكونت فيليب دي طرازى التي هي أدنى الى أن تكون سجلاً للصحف التي صدرت في البلاد العربية منها الى أن تكون بحثاً في تطور الصحافة العربية .

على أننا يجب أن نستثنى من ذلك (الصحافة المصرية) التي هي أسعد - من ناحية التأريخ - من بقية الصحافات العربية . فقد ظفرت هذه الصحافة المصرية بمن أرخوا لها بطريقة علمية .

فمن هؤلاء الذين أرخوا لهذه الصحافة المصرية الدكتور ابراهيم عبده وذلك في البحث الذي حصل به على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة وعنوانه: تطور الصحافة المصرية من سنة ١٧٩٨ حتى سنة ١٩٥١. ولم يكد يسبقه الى ذلك غير (قسطاكي إلياس عطارة) صاحب كتاب (تاريخ تكوين الصحف المصرية) الصادر بالقاهرة في عام ١٩٢٨ . وان كان هذا الكتاب الاخير أقرب في طريقته الى كتاب الكونت فيليب دي طرازى الذي سبقت الاشارة اليه .

ومنذ سنة ١٩٥٠ بدأ مؤلف هذا الكتاب الذي بين يدي القاري، يصدر سلسلة عرفت باسم :

« أدب المقالة الصحفية في مصر » .

وقد ظهرت الحلقة الاولى من هذه السلسلة سنة ١٩٥٠ . ووصل المؤلف بها الى الحلقة الثامنة . وفي الطريق الى المطبعة حلقة تاسعة من حلقات هذه السلسلة . وقضى المؤلف في ذلك العمل خمس عشرة سنة كاملة، واذا بسط الله له في الاجل فسيمضي في عمله هذا حتى نهايته.

ولم يقف الامر بالصحف المصرية عند هذا الحد . بل إن خريجي معهد الصحافة وقسم الصحافة بجامعة القاهرة اشتغل بعضهم بتاريخ الصحف المصرية بطريقة علمية وكشفوا الغامض من هذا التاريخ وأضافوا الى العلم جديداً من هذه الناحية .

فإذا قسنا هذه العناية بتاريخ الصحافة المصرية بقلة العناية بتاريخ الصحافة العربية غير المصرية لم يسعنا في هذه الحالة الا ابداء الاسف لهذا الاهمال من جانب الحكومات العربية والشعوب العربية في سد هـذا النقص .

لفتت نظري هذه الظاهرة منذ وجدت نفسي في بغداد أقوم فيها بتدريس الصحافة بكلية الآداب . ودعاني ذلك الى كتابة المقالات التي نشرتها الصحف العراقيه . وفيها دعوت الحكومـة العراقية والشعب العراقي الى ضرورة العناية بهذا العمل القومي الكبير . وهو التأريخ للصحافة العراقية بطرق يرضى عنها البحث الحديث . غير أنني حريص على أن أنوه في هذا المجال بالجهود الكبير الذي قام به

الاستاذ روفائيل بطي في محاضراته عن تاريخ الصحافة العراقية . وهي المحاضرات التي القاها بمعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة . وكذلك ينبغي التنويه بالسجل النافع الذي قام به الاستاذ (عبدالرزاق الحسني) للصحف العراقية . كما لاينبغي أن أترك هذا المجال دون الاشارة الى كتاب (الصحافة العربية) للاستاذ أديب مروة . وفيه أشار المؤلف الى تاريخ الصحافة في مصر ولبنان وسوريا والعراق وفلسطين وجزيرة العرب وشمال أفريقيا والسودان. وذهب الى أن للصحافة العربية بذوراً قديمة عند العرب ترجع الى العصر الجاهلي . ودعاه ذلك الى الكلام عن نشأة الكتابة العربية وعن فن التراجم والسير ونحو ذلك .

ومع هذا وذاك فليعذرني القارىء اذا قلت انني مع تقديري العظيم لهذه الجهود أو الكتب التي قام بها أولئك المؤلفون مشكورين لا أراها تحقق الغاية التي تنشدها الجامعات والمعاهد العليا من الدراسات التاريخية الاصيلة لكل قطر من الاقطار العربية المعروفة.

وذلك ما دعاني الى التفكير في مشروع كبير انتهز فرصة هذه المقدمة لأعرضه على السادة العلماء والمؤرخين والصحفيين العرب ، وادعوهم بكل ما أملك من قوة الى المعاونة في هذا المشروع ، كل في حدود طاقته وظروفه وبيئته ونوع دراسته . وهذا المشروع الكبير الذي أدعو اليه هو المشاركة فيما سميناه :

« قصة الصحافة العربية »

وهو كتاب سيتألف من أجزاء كثيرة بعدد البلاد العربية المعروفة :-

فجزء عن الصحافة المصرية .
وثان عن الصحافة العراقية .
وثالث عن الصحافة السورية .
ورابع عن الصحافة اللبنانية .
وخامس عن الصحافة المغربية .
وسادس عن الصحافة الجزائرية .
وسابع عن الصحافة السودانية .
وثامن عن الصحافة السعودية .
وتاسع عن الصحافة الكويتية وهكذا .

وليس من اليسير بطبيعة الحال أن ينهض باحث واحد ـ مهما أوتي من قدرة على البحث وصبر على الدرس ـ بعمل كهذا العمل الضخم .

إن الاولى بكل صحافة عربية في كل اقليم من الوطن العربي أن يؤرخ لها عالم من العلماء الذين ينتمون الى هذا الاقليم ما دام يأنس من نفسه القدرة على ذلك .. أو ما دامت دراساته ومؤهلاته أو ظروفه المهنية تعينه على القيام بشيء من ذلك .

من أجل هذا دعوت نفسي واخواني العرب في كل قطر عربي للمشاركة في انجاز هذا المشروع لأن فيه سداً لنقص كبير في ميدان من ميادين الثقافة الجامعية من جهة والثقافة العامة من جهة ثانية .

إن من العيب أن نعيش – نحن العرب – في تاريخ الصحافة العربية الى اليوم على كتاب بدأه (الكونت فيليب دي طرازي) سنة ١٩١٣ . بل علينا نحن العرب أن نذود عن كرامتنا العلمية ،

وأن نبرىء ذمتنا التاريخية والقومية ، وان نشكر المجهود الذي قام به الكونت فيليب أو الرائد الاول لتاريخ الصحافة العربية ، ثم نبادر الى انجاز هذا المشروع الكبير خدمة للقومية العربية والصحافة العربية .

بذلك وحده نستحق احترام الامم الاجنبية التي لا ينبغي لها أن تقوم عنا بهذا العمل القومي ، وتفرض علينا وجهة نظرها في دراسة التاريخ العربي والفكر العربي .

* * *

والآن ونحن نقدم الى القراء هذه الحلقة الاولى من تلك السلسلة التي اطلقنا عليها اسم « قصة الصحافة العربية » ، نشعر بأن من حق القارىء علينا أن نشرح له الطريقة التي سرنا عليها في سرد قصة الصحافة العربية ، والامور التي توخيناها في كتابة هذه القصة .

ومن هذه الامور ما يلي :

أولا – أنني آثرت الايجاز في سرد هذه القصة التي كتبتها في تاريخ الصحافة المصرية ، بحيث يمكن النظر الى هذا الجزء الصغير من أجزاء هذه السلسلة على أنه مختصر للاجزاء الثمانية أو التسعة التي فرغت من كتابتها بعنوان « أدب المقالة الصحفية في مصر » .

ثانياً – أنني حاولت في هذا الجزء من قصة الصحافة العربية ان أجيب عن هذا السؤال وهو : الى أي حد استطاعت الصحافة المصرية أن تؤدي واجبها ؟ وما هي الصعاب التي واجهتها ؟ وما مدى الحرية التي تمتعت بها ؟ وما الجهود التي بذلتها في سبيل ذلك ؟

أجبت عن هذه الاسئلة بطريقة مباشره واخرى غير مباشرة ـ

وتركت للقارىء أن يلاحظ بنفسه سياق القصة التي روت تاريخ الصحافة المصرية ، وأن يتتبع أبطالها واحدا واحداً ، وان يؤلف لنفسه من كل ذلك رأياً صحيحاً بقدر المستطاع .

ومن هنا يدرك القارىء الاهمية البالغة التي لدراسة التاريخ الصحفي في العصر الحديث .

فان كل شعب من الشعوب حريص في وقتنا هذا على أنه يعرف كل شيء عن تاريخ نضاله من أجل الحرية والديموقراطية ليرى من خلاله كثيراً من صور حياته السياسية والفكرية والاجتماعية . ومن هنا تبدو الصعوبات التي تواجه مؤرخ الصحافة أكثر بكثير من الصعوبات التي تواجه المؤرخ لاية مادة أخرى غير الصحافة .

ثالثا - حصرنا فترة البحث عن الصحافة المصرية في المدة التي تقع بين نشأة (الوقائع المصرية) عام ١٨٢٨ حتى قيام الثورة المصرية لسنة ١٩٥٢ .

ومعنى ذلك أن هذه السلسلة التي ندعو اليها سوف تكون بحاجة الى التجدد المستمر . وهي في هذه الحالة ستكون أشبه شيء بدوائر المعارف الكبرى . فاذا لم تتطور هذه الموسوعات بإضافة المعلومات الجديدة من وقت لآخر فانها تصبح في يوم من الايام قديمة بالية وتفقد قيمتها في نظر القارىء بسبب ذلك .

رابعاً - اننا تحدثنا عن الصحافة المصرية المكتوبة باللغة العربية . واغلقنا الحديث عن الصحافة التي صدرت في مصر باللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية .

و نحن نعلم ان الصحف الفرنسية صدر بعضها بمدينة الاسكندرية حيث الجاليات الاجنبية والحركة التجارية والصناعية . وكانت هذه الصحف تعنى بأخبار التجارة. ولها عناية كذلك بالادب والاجتماع والسياسة . ومن الامثلة عليها جريدة (لو بروجريه اجبسيان) .

وقل مثل ذلك في الصحف التي ظهرت بمصر مكتوبة باللغة الانكليزية . ومن هذه الصحف على سبيل المثال : ـ

جريدة (ذي اجبسيان جازيت) وجريدة (ذي اجبسيان ميل) وجريدة (سفنكس) وغيرها .

خامساً ـ لا نستطيع في كتاب صغير في حجمه كهذا الكتاب الذي نسرد فيه قصة الصحافة المصرية ان نأتي على جميع الصحف التي صدرت في مصر في فترة البحث . فان ذلك أمر يبدو مستحيلاً في واقع الامر . وقد يغني عنه الى حد ما ما أوردناه في نهاية الكتاب من القوائم التي اشتملت على اسماء جميع الصحف المصرية منذ أواخر القرن الثامن عشر الى عام ١٩٥١. وذلك نقلاً عن قلم المطبوعات المصرية . وهو المصدر الذي نقل نقل عنه جميع من تعرضوا لتاريخ الصحافة المصرية.

(وبعد) فهذه الحلقة الاولى من السلسلة المسماة (قصة الصحافة العربية) نرجو ان تلحق بها في القريب العاجل باذن الله حلقات اخرى تحكي كل واحدة منها قصة الصحافة في قطر واحد من الاقطار العربية الاخرى .

والله نسأل ان تسد هذه السلسلة حاجة في نفوس قراء العربية ،

وان تملأ فراغاً في المكتبة العربية ، وان تخدم بعض المناهج الدراسية في اقسام الصحافة بالجامعات العربية ، وان تذود عن كرامتنا العلمية التي تحتم علينا ان نعيد كتابة تاريخنا بأقلامنا من فترة الى اخرى .

والى الله القدير ابتهل ان يوفق زملاءنا الذين سيشتركون معنا في هذه السلسلة المباركة للنهوض بهذا الجانب الحي من جوانب الثقافة العربية . ونعني به جانب الدراسات الصحفية .

ومن واجبي في ختام هذه المقدمة ان أقدم اخلص الشكر لجامعة بغداد . فقد ساهمت في نشر هذا الكتاب . كما ساهمت في نشر كتاب (الرأي العام والاعلام والدعاية) . عاشت هذه الجامعة مناراً للعلم وكعبة لطلبة العلم والله الموفق .

المؤلف

مدخل إلى قصة الصحافة العربية

لتدوين الاخبار أو الافكار قصة معروفة في تاريخ الحضارة لخصها كتاب (الطباعة العامة) [1] في السطور التالية .

« كانت الكتب المسطورة باليد تستعمل لتدوين الافكار ونقلها قبل اختراع الطباعة بنحو الف وخمسمائة سنة . وكان الانسان البدائي قبل ذلك يعمد الى وسائل اكثر بساطة تمتد في القدم الى اربعة آلاف أو خمسة آلاف سنة قبل طريقة التدوين بالكتابة . والمعتقد الى الآن ان اولى الوسائل لتدوين الاخبار كانت المسلات الحجرية والتماثيل عاطية الحظ من التشذيب او المهارة الفنية . وكان من اول هذه الوسائل كذلك الحفر على جذوع الاشجار . ثم خطت الانسانية

---

(١) كتاب الطباعة العامة ، تأليف كلين يوكليتن عميد مدرسة الطباعة فى بتسبرج (بنسلفانيا) وتشارلز بتكن نائب رئيس مجلس الادارة فى شركة نيويورك . وترجم الكتاب الى اللغة العربية الأستاذ انور شاؤول عن طريق مؤسسة فرنكلين ببغداد .

خطوة جديدة في تدوين الافكار والاخبار ، وتمثلت هذه الخطوة في الحفر على الحجارة ، كما كان الشأن عند قدماء المصريين والآشوريين والكلدانيين . ثم حلت رقم الطين المفخور محل الرقم الحجرية الثقيلة. ثم تكللت جهود القدماء بظهور ورق البردي وظهور الرق (بكسر الراء) المستحضر من جلود الغنم والماعز وجلود البقر .

«وربما كانت الصور اولى الوسائل التي استخدمت لنقل الافكار . وشيئاً فشيئاً ظهر بعدها اسلوب للكتابة اشبه شيء بالاختزال . هو الاسلوب الرمزي . والرموز – وأحسن مثل عليها الكتابة الهيروغليفية التي استعملها القدماء المصريون ـ لا تتضمن اصواتاً كما في الكلمة المنطوق بها ، وإنما تمثل أفكاراً في تنسيق معين .

«ثم تطورت الكتابة الصورية والكتابة الرمزية بعد ذلك ، وحل محلها حروف صوتية ما لبثت ان تجمعت فيما يعرف بالالفباء او الحروف الابجدية . ثم اكتشفت حديثاً قطع الفخار في فلسطين وأفضت الى قيام نظرية مؤداها ان الالفباء ظهرت في الوجود قبل ما يقرب من ألفي سنة قبل الميلاد . ومع ذلك فان الالفباء في شكلها المعروف اليوم قامت على اساس الاسلوب الفينيقي الاول . وهو الاسلوب الذي اقتبسه اليونان حوالي سنة الف قبل الميلاد . وبانتقال مركز الحضارة الى روما اصبحت الالفباء اللاتينية المبنية على اليونانية هي الالفباء القياسية العالمية » .

لا شك ان هذه القصة التي تروي لنا نمو الوسائل الخطية لنقل

الافكار والاخبار تتمشى ونمو الحضارة الانسانية ، ذلك ان المؤرخين يكادون يتفقون على ان الحضارة انما بدأت باختراع الكتابة والطباعة باعتبارها الخلف الذي اعقب الكتابة في مهمة نشر الافكار والاخبار حتى اصبحت عاملا حقيقيا من عوامل التقدم الانساني .

ومن المعروف ان حب الاطلاع على الاخبار جزء من الطبيعة البشرية ، وهو من الاسباب التي من اجلها نظر الى الانسان على انه مدني بالطبع ، واذا كانت الصحافة هي رواية الاخبار على الناس فانها قديمة قدم البشرية ذاتها ، ومن ثم يمكن النظر الى النقوش الحجرية في العصور الممعنة في القدم على انها صحافة من باب التجوز في استعمال هذه الكلمة ، ومن هذا القبيل اوراق البردى المصرية التي ترجع الى اكثر من اربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، ومن هذا القبيل كذلك ما قيل بانه كان للبابليين مؤرخون مكلفون بتسجيل الحوادث وعلى هؤلاء اعتمد مؤرخو القرن الثالث قبل الميلاد في كتابة تاريخ الكلدانيين [1] .

بهذا المعنى اتخذت الصحافة اول الامر صور الاوامر الحكومية واللائحات التي كان يتوجه بها الحكام الى الشعب منقوشة على الاحجار والاعمدة في الاماكن العامة أو مكتوبة بصورة اخرى .

ثم ان الشغف بمعرفة اقدم جريدة في العالم يحملنا على القول انها جريدة صينية يقال لها « كين بان » صدرت عام (٩١١) قبل الميلاد وهي صحيفة رسمية او حكومية .

---

(١) اديب مروة .. ص ٥٣ .

(٢)

واما في (اوربا) فيقال ان اول جريدة رسمية هي الجريدة التي اصدرها الامبراطور يوليوس قيصر عقب توليه السلطة عام ٥٨ قبل الميلاد واسمها (Acta Diurna) اي (السجل اليومي للاخبار) ، وسميت كذلك (Acta populi) اي (سجل اخبار الشعب) وذلك لانها عنيت باخبار . وزودته كذلك بالاخبار الحربية والقضائية واخبار مجلس الشيوخ .

ثم ظهرت في اوربا طبقة يقال لها (صناع الاخبار) كانوا يكتبون (الرسائل الاخبارية) التي تهتم اولا وقبل كل شيء باخبار التجارة . وازدهرت صناعة الاخبار في انجلترا في القرن الثالث عشر الميلادي، وبعد قرنين من الزمان ظهرت هذه الصناعة في المانيا وايطاليا وفرنسا .

واخيرا ظهرت المطبعة في عام ١٤٣٦ للميلاد ، اخترعها جوتنبرغ الالماني وبالمطبعة حدثت الثورة الحقيقية في طرق نشر الاخبار وذلك فضلا عن نشر العلوم والآداب .

ومن هنا ارتبطت نشأة الصحافة الحقيقية بنشأة المطبعة ، والتفتت الحكام بقوة الى هذا الاختراع الخطير ، وفرضوا نوعا من الرقابة عليه، ومن ثم ثارت لاول مرة في تاريخ البشرية مشكلة تسمى مشكلة (حرية الصحافة) غير ان سطوة الحكام بالغت في العقوبات الشديدة على الصحفيين حتى وصلت بها الى عقوبة الاعدام . ولذلك بدا الاتجاه الى نشر الخبر بطرق خفية وذلك عن طريق النسخ لا عن طريق المطبعة وكان كتاب هذه الاخبار يطاردون بقوة ويعاملون بغاية القسوة .

مهما يكن من شيء فقد ظهرت اول جريدة اوروبية بالمعنى الصحيح في فرنسا باسم (جازيت) أصدروها (ثيوفرست) سنة ١٦٣١ لخدمة الملك لويس الرابع عشر . وتوالى اصدار الصحف بعد ذلك في كل من انجلتره وهولنده وغيرها . واتخذت التدابير المشددة ضد الصحفيين في جميع تلك البلاد حتى كان عهد الملك شارل الاول عام ١٦٤١ فأمر بالتخفيف من هذه الاجراءات . وتمتعت الصحافة الانجليزية بحريتها عامين كاملين ، واستطاع الصحفيون خلال هذه العامين ان يتعرضوا لنقد الملك والكنيسة والبرلمان . فلم ير البرلمان بدا من فرض الرقابة من جديد على الصحف وذلك عام ١٦٤٣ .

وبقى الامر على ذلك حتى الغيت الرقابة على الصحف في عهد الملكة آن وذلك في عام ١٦٩٣ .

ولسنا نريد هنا ان نسترسل في تاريخ الصحافة الاوربية فان ذلك خارج عن موضوع بحثنا ـ وهو تاريخ الصحافة المصرية .

ومرة اخرى نقول انه اذا كانت الصحافة هي رواية الاخبار وعرضها بطريقة ما على القراء ، فمعنى ذلك ان الصحافة بمعناها المجازي لا الحقيقي عرفها العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وبقية العصور الاسلامية التي توالت عليهم حتى عرفوا المطبعة كما عرفها غيرهم من الناس .

اجل ـ عرف العرب الصحافة بمعناها المجازى في صورة القصيدة الشعرية التي كانت تعنى بتسجيل احداثهم ، وفي صورة كتب السير .

وفي صورة المذكرات التي كانوا يسمونها (المياومات) وفي صورة الكتب التي كتبت في موضوع الرحلات ، وفي صورة الكتب التي كتبت في شكل موسوعات بل في صورة الكتب التاريخية التي عنوا بها عناية كبيرة حتى عهدهم بالطبري وابن الاثير ومن تلاهما من كبار المؤرخين .

والحق – انه اذا كان المقال فنا من فنون الصحافة الحديثة ، وكان هذا المقال وسيلة من وسائل تزويد القارىء بالمعلومات الصحيحة ، فاننا نقول – ونحن مطمئنون – بان العرب كانوا يسلكون هذا الطريق ويهدفون الى هذه الغاية في جميع ما كتبوا اولا من الرسائل الحرة – ونعني بها الرسائل غير الديوانية – وهي الرسائل التي كان يتولى كتابتها ادباء وعلماء لهم شهرتهم في تاريخ الادب العربي .

وقد كانوا لشهرتهم هذه مصدر خطر على الدولة حينا ، ومصدر امن وصيانة لها حينا آخر .

فالرسائل التي كان يكتبها عبدالله بن المقفع الى الخليفة المنصور كانت من النوع الاول – وهو المخيف للحكام والحكومة . والرسائل التي كان يكتبها الجاحظ في الانتصار لمذهب الاعتزال – وهو مذهب الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري – كانت من النوع الثاني .

والذي لا شك فيه ان هذه الرسائل الحرة التي اشرنا اليها كانت – مع القليل من التحوير – صحافة متكاملة للعصر الذي كتبت فيه .

ومن الامثلة على هذه الرسائل الحرة ـ وما اكثرها ـ في الحقيقة ـ ما يلي :ـ

١ ـ رسالة عبدالحميد بن يحيى الكاتب الى الكتاب .

٢ ـ الرسالة السياسية الاصلاحية المسماة بالهاشمية او رسالة الصحابة لابن المقفع كتبها للخليفة المنصور .

٣ ـ رسائل الجاحظ كلها بدون استثناء .

٤ وسالة مالك بن انس الى الرشيد .

٥ ـ بعض رسائل بديع الزمان .

٦ ـ بعض رسائل الابشيهي في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) .

٧ ـ رسالة الغفران لابي العلاء المعري .

فكل هذه الرسائل قريبة الشبه بالمقال الصحفي مع فارق واحد او فارقين :ـ

اولهما من حيث الطول ، وثانيهما من حيث الزمن المحدد لصدور الرسالة أو الصحيفة . والمعروف ان الصحيفة لها زمن محدد تصدر فيه . اما الرسالة فلم تعرف شيئاً من ذلك ، لانها تقوم على النسخ باليد وذلك بالطبع قبل ظهور المطبعة .

* * *

ولنا ان نتصور رجلا من كتاب القرن الثالث الهجري هو الجاحظ ، ما اجدره ان يكون اعظم صحفي بالمعنى الصحيح لهذه

الكلمة ، لو انه عاش في عصر المطابعة . وهو بالفعل كان صحفي العصر العباسي بلا منازع [illegible] الى القارىء وكان يصف [illegible] وينشر عن كل طائفة من اوائل [illegible] عن رجال [illegible] عن [illegible] الخ .

وهكذا يمكن النظر الى كل ما كتب الجاحظ في الحقيقة على انه من الطرائف الصحفية التي تنشرها الصحافة في الوقت الحاضر .

وفوق هذا وذاك فان الجاحظ كان بوقا للمعتزلة ، وكان الاعتزال مذهبا للخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري ، ومن ثم اعتبر هذا الرجل او اعتبرت كتاباته صحافة مذهبية ترضى عنها الدولة .

ومثل الجاحظ في ميوله الصحفية كثيرون من كتاب العرب ، ونخص بالذكر منهم كتاب الرحلات والجغرافيا او (وصف المسالك والممالك) ، ونذكر منهم على سبيل المثال الاصطخري صاحب كتاب (مسالك الامم) ، وابن حوقل من ابناء القرن العاشر الميلادي وقد نشأ في بغداد وشغف بعلم الجغرافيا وطاف بالعالم ثلاثين سنة ، ثم وضع كتابه المسالك والممالك بناء على مشاهداته الخاصة كما يفعل الصحفي الحديث حين يكتب تحقيقا صحفيا في موضوع معين ومثله في ذلك المقدسي ، والادريسي ، وابن جبير ، وابن بطوطة ، وعبداللطيف البغدادي ، وغيرهم .

قصة الصحافة المصرية

الفصل الاول

نشأة الطباعة في مصـــر

قلنا ان تاريخ الصحافة مرتبط قبل كل شيء بتاريخ المطبعة وقيل ان اول مطبعة استخدمت الحروف العربية هي المطبعة الـــتي تأسست في روما سنة ١٥١٤ للميلاد . وقد طبع فيها خـلال القرن السادس عشر عدد من الكتب العلمية بالاضافة الى الكتب الدينية المسيحية ، وكانت ترسل هذه الكتب الى اسواق الشرق وتباع فيها.

ثم اخذت الطباعة تنتشر في الشرق وفي الاستانة وحروفها عربية، وكانت المطبعة الثانية بالنسبة الى اول مطبعة عربية ظهرت في الشرق العـربي هي المطبعة التي انشأها البطارقة في حلب في اوائل القـــرن الثامن عشر نعني سنة ١٧٠٢ .

غير ان مطبعة الاستانة لقيت عنتاً شديداً من الحكومة ومن

رجال الدين الذين افتوا يومئذ بان المطبعة رجس من عمل الشيطان .
وبقي الحال على ذلك الى ان استصدر الصدر الاعظم من السلطان
امرا في سنة ١٧١٢ بالاذن (لسعيد افندي) الذي صار فيما بعد صدرا
اعظم للدولة بانشاء مطبعة قامت بطبع جميع الكتب عدا كتب الفقه
والتفسير والحديث وبقية الكتب الدينية الاخرى .

ثم عرفت الطباعة العربية بعد ذلك في قرية الشوير بجبل لبنان ،
فقد انشأ الشماس عبدالله الزاخر اول مطبعة عربية هناك عام ١٧٣٣
وذلك في دير (مار يوحنا) [١] .

ثم قامت المنافسة على انشاء المطابع بين الارثوذكس اصحاب
دير (مار يوحنا) والكاثوليك ، فانشأ هؤلاء مطبعة عربية عام ١٧٥٠
ميلادية .

غير ان مطابع لبنان وسوريا كانت تقتصر الى ذلك الوقت على
طبع الكتب الدينية . ثم توالى بعد ذلك انشاء المطابع العربية في
القرن التاسع عشر ، وقامت بطبع الكتب الادبية والعلمية الى جانب
الكتب الدينية . وكان من اهم المطابع التي ظهرت في لبنان في
منتصف القرن التاسع عشر (مطبعة الاباء اليسوعيين) . وما زالت
قائمة الى اليوم ، ولها الفضل في اصدار عدد ضخم من الكتب والرسائل
والمعاجم الكبيرة في شتى العلوم والفنون والاداب قديمها وحديثها
على السواء . ومن هنا اصبح لها دين كبير في عنق الثقافة العربية .

---

(١) خليل صابات ، الطباعة في الشرق العربي .

اما في (مصر) فلم يكن للمصريين عهد بالطباعة قبل مجيء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ بقيادة الجنرال بونابرت . وقد رأى هذا الرجل ان يصطحب معه الى مصر (مطبعة) مزودة بالحروف اللاتينية والاوربية والعربية يستعين بها في طبع البيانات الرسمية والاوامر الحكومية التي يتوجه بها الى المصريين .

وقامت مطبعة الحملة وقتئذ بمهمة اخرى هي اصدار جريدتين وهما :- جريدة « لو كورييه » (le Courier) وجريدة « لاديكاد » la Decade صدرتا باللغة الفرنسية لا العربية ، ووزعت الجريدتان على جنود الحملة الفرنسية . وكانت الصلة منقطعة بين هاتين الجريدتين والشعب المصري الذي لا يعرف الفرنسية .

ثم فكر الجنرال مينو من قواد حملة الفرنسيين (الذين لم تزد اقامتهم في مصر على ثلاث سنوات من ١٧٩٨ - ١٨٠١) في اصدار جريدة باللغة العربية واختار لها اسم « التنبيه » وعين لها الشيخ اسماعيل الخشاب مشرفا او رئيسا للتحرير ، غير ان هذه الصحيفة الاخيرة لم تر النور ولم تظهر للوجود . وخرج الفرنسيون من مصر قبل ان يصدروا عدداً منها .

نعم - جلا الفرنسيون عن مصر ولكنهم اخذوا معهم المطبعة . وخلت البلاد منها حتى كان عام ١٨٢١ فرأينا (محمد علي) والي مصر ينشيء مطبعة حكومية لنشر الاوامر الرسمية . واسمها « المطبعة الاهلية » او « مطبعة بولاق » وكان يقال لها كذلك « مطبعة الباشا » .

وهذه المطبعة هي التي تولت فيما بعد طبع « الوقائع المصرية » التي سنتحدث عنها . ثم قامت المطبعة كذلك بطبع عدد لاحصر له من الكتب القديمة والكتب الحديثة في مختلف العلوم والفنون كما سنشير الى ذلك في موضعه من هذا البحث .

ذلك تاريخ موجز كل الايجاز لظهور المطبعة العربية التى لولاها بطبيعة الحال لما ظهرت الصحافة العربية، ولما نشرت الكتب والرسائل والمؤلفات المختلفة بهذا الاتساع. غير انه وان كانت مصر تعتبر آخر بلاد الشرق اتصالا بالمطبعة فانها عن طريق الحملة الفرنسية من جهة ، وطريق محمدعلي من جهةثانية تعتبر اول بلادالشرق تعرفا على الصحافة .

على ان الصحافة المصرية شيء والصحافة الفرنسية التي صدرت في مصر شيء آخر . فلا يصح النظر الى هذه الاخيرة على انهـا صحافة مصرية صميمة ، وان كان المؤرخ مضطراً الى النظر الى تلك الصحف التي اصدرتها الحملة على انها نقطة البداية فقط في تاريخ الصحافة المصرية .

قال الجبرتي في تاريخه عن صحف الحملة :—

(ان القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم واماكن احكامهم . ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد ان يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها في جميع الجيش) .

سنتحدث بعد ذلك عن الصحـافة العربية في مصـر وسوريا والعراق ، وبقية البلاد العربية كلما أمكن ذلك ان شاء الله .

طريقتنا في دراسة تاريخ الصحافة

وستكون لنا طريقة علمية في دراسة الصحافة العربية في هذه الاقطار. وتقوم هذه الطريقة على النظر الى الصحافة على انها ظاهرة اجتماعية لابد ان تتأثر وتؤثر في الحياة السياسية والحياة الاجتماعية والحياة الفكرية في البلد الذي تظهر فيه. فليست المسألة معلومات تعطى للقراء عن الصحافةالعربية في كل بلد من هذهالبلاد. بل انها مسألة بحث علمي ينظر الى الصحيفة او الى الصحفي على انه جزء لاينفصل عن ذلك المجتمع الذي يعيش فيه. ثم النظر الىالكتابة الصحفية ذاتها على انها كائن حي يخضع لقانون النشوء والارتقاء، فيولد ضعيفا اول الامر ثم ينموشيئا فشيئا، ويمر في اثناء ذلك بدور الطفولة فدور الغلومة فدور الشباب فدور الرجولة وهكذا.

على هذا الاساس نحن مضطرون الى ان نبدأ هنا بدراسة الاجواء الفكرية التي ظهرت فيها الصحافة المصرية او السورية او العراقية. ولنا ان ننتقل من ذلك الى دراسة الصحافة نفسها، والى تقسيم هذه الصحافة الى مراحل لكل مرحلة منها مميزات وخصائص تميزها عن المراحل الأخرى وهكذا.

وسنبدأ بالصحافة المصرية فنراها تمر بهذه الاطوار.

اطوار الصحافة المصرية

١ـ طور النشأة من سنة ١٨٢٨ ــ ١٨٧٦

٢ـ طور الشباب من سنة ١٨٧٧ ــ ١٨٨٢

٣- طور الرجولة أو الكفاح ضد الاحتلال من عام ١٨٨٢ ـ الى قيام الثورة المصرية الكبرى سنة ١٩١٩ .

٤- طور استكمال الحرية والدستور ١٩١٩ ـ ١٩٣٩ .

٥- الطور الاخير وهو طور مكافحة الاستعمار الاوروبي منذ قيام الحرب العالمية الثانية الى قيام ثورة الجيش .

٦- طور الصحافة المصرية في ظل الثورة الاخيرة التي قام بها الجيش في ٢٣ يوليه ١٩٥٢ .

تلك هي الاطوار أو المراحل التي مرت بها الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين . ولن نخوض في الحديث عن كل واحد منها ـ كما قلنا ـ قبل ان نتحدث عن الاطار العقلي والاطار الاجتماعي اللذين سبحت فيهما هذه الصحافة منذ بدايتها .

الفصل الثاني

الأجواء الفكرية للصحافة المصرية في دور النشأة

قلنا انه لكي نتحدث عن الصحافة في أمة من الامم لا بد ان نقدم لذلك بالحديث عن الاجواء الفكرية والاجتماعية التي عاشت فيها الصحافة التي نريد ان نؤرخ لها . اما الاجـواء السياسية لهذه الامة فهي معروفة ومدروسة في كتب التاريخ ولذلك لا تحتاج منا الى الدراسة بل يكفي منها مجرد الاشارة .

ونحن نعرف ان الصحافة في مصر كانت اجنبية بحتة ايام الحملة الفرنسية وهي الحملة التي عرفت مصر عن طريقها فن الطباعة . ثم اتى محمد علي ووضع لنفسه سياسة يحكم بها الشعب المصري سنعرف.

فانها تبنى على الاحتكار بمعنى انه يحتكر لنفسه كل شيء في البلاد المصرية . ومن ثم احتكر لنفسه الصناعة والتجارة والتعليم والجيش والصحافة . واصبح محمد علي في مصر التاجر الاول والصانع الاول والزارع الاول والمرجع الاول والاخير في كل مايتصل بامر التعليم والجيش والصحافة . وهكذا اكتنفت الصحافة المصرية منذ نشأتها ظروف عادت على الحركة الفكرية في مصر بالانتعاش لسببين كبيرين هما مجيء الحملة الفرنسية من جهة وظهور محمد علي من جهة ثانيــة . والى هذين العاملين الكبيرين يضيف المؤرخون عاملين آخرين هما ظهور السوريين في مصر واشتغالهم فيها بالصحافة وبالمسرح وظهور السيد جمال الدين الافغاني فجأة في البلاد المصرية وبذره فيهـا بذور الحرية . وسنتحدث عن كل عامل من هذه العوامل الاربعة على حدة. وذلك فيما يلي :

١ — الحملة الفرنسية

يصح النظر الى الحملة الفرنسية على انها بداية التاريخ المصري الحديث . فقد كانت الصلة بين مصر والعالم الاوربي منقطعة او تكاد، ثم جاء الفرنسيون بحملتهم على مصر فكانت هذه الحملة بمثابة اللقاء الاول بين الشرق والغرب ، وبمثابة ناقوس كبير أيقظ المصريين من سباتهم ، وفتح عيونهم على عوالم جديدة خرجت بهم من عالم الظلام الذي كانوا يعيشون فيه ايام الحكم العثماني الى عالم النور الذى اقترن اول ما اقترن بالحملة الفرنسية .

اتى الفرنسيون الى مصر واثروا فيها بخيرهم وشرهم . وكان من نتيجة ذلك ان تغيرت نظرة المصريين الى الحياة ، واخذوا يفهمون بعض المعاني الجديدة ؛ كمعنى الحرية الشخصية ومعنى المساواة ، ومعنى الوطن والوطنية ، ومعنى الشعب وحقوق الشعب ، ونظام الحكم ونحو ذلك . وكانت هذه المعاني الجديدة بمثابة الضوء الاول الذي أنار ظلام الحياة المصرية كما قلنا .

ثم ان هذه الحرية الشخصية التي بدأ يفهمها المصريون آنذاك تناولت كذلك المرأة، فلقد رأى المصريون النساء الفرنسيات سافرات مختلطات بالرجال في غير تحفظ ، وفي ذلك يقول الجبرتي ..

(لما حضر الفرنسيس الى مصر ومع بعضهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحريرية الملونة ويركبون الخيول والحمير ويسقنها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية وصرافيس العامة ..)

هذا من حيث فهم المصريين للحرية الشخصية . اما فهمهم للحرية الادبية والعلمية فقد كان للفرنسيين اثر واضح في ذلك ايضا . ونحن نعلم ان بونابرت أتى الى مصر ومعه نخبة من العلماء لدراسة مصر من نواح عدة . وقد كان لهؤلاء العلماء الفضل الاكبر في الكشف عن الكتابة الهيروغليفية التي فتحت للناس باب التاريخ المصرى القديم . ثم ان مهندسي الحملة هم الذين درسوا مشروع قناة السويس . وبونابرت هو الذي اهدى مصر شيئاً آخر هو المطبعة وعرفهم بها .

واذا ذكرنا المطبعة فقد ذكرنا الصحافة .

ثم ان بونابرت هذا عنى بامور اخرى كذلك لا تقل خطورة عن الامور التي اشرنا اليها : عنى بصحة الشعب المصري فانشأ له المحاجر الصحية ، وانشأ دفاتر المواليد والوفيات . وكانت كل هذه الاشياء جديدة على المصريين الى ذلك الحين . وبالاضافة الى المطبعة والصحافة والمحاجر الصحية فتحت الحملة اعين المصريين كذلك على المعامل العلمية التي بهرت انظارهم وعدوها ضربا من ضروب الشعوذة او السحر ، ومن ذلك يقول الجبرتي :

(من أغرب مارأيت في ذلك المكان ان بعضهم اخذ زجاجة من من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة وصب منها شيئاً في كأس ثم صب عليها شيئاً من زجاجة اخرى فغلى الماء وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما في الكأس وصار حجرا اصفر اخذناه بايدينا ونظرناه باعيننا ... الخ)

الحرية السياسية

تعلم المصريون كذلك من الفرنسيين الحرية السياسية وذلك ان بونابرت هو الذي ادخل النظام النيابي في مصر بانشاء ما سمام اذ ذاك بالديوان . وهو الهيئة الحكومية التي اشترك فيها المصريون لاول مرة في تاريخ حياتهم ، ومارسوا فيها فن الحكم بذواتهم ، ومن ثم تنبه المصريون الى حقهم في الاشتراك في حكم انفسهم بانفسهم .

الاعلان عن مصر أثر من آثار الحملة

واخيرا كان من نتائج الحملة الفرنسية على مصر ان الفرنسيين طفقوا يكتبون عنها كتبا كثيرة جعلت لها شهرة واسعة في ربوع اوربا ، وكأن الحملة كانت اشبه باعلان عن مصر جذب اليها السائحين من كل صوب ولفت اليها العلماء والباحثين من كل جهة ، وعن هذا الطريق اثرت مصر في الادب الاوربي وغدت موضوعا بالغ الاهمية من موضوعات هذا الادب .

ولا ننس ان الصحافة المصرية في القرن الماضي كانت معرضا جميلا للافكار التي اتت بها الثورة الفرنسية وكانت اداة صالحة لنقل هذه الافكار ـ وكثير منها كان ملائما للعقل الشرقي ـ الى المصريين وغيرهم من سكان البلاد الاسلامية او العثمانية .

ظهور محمد علي

أيقظت الحملة الفرنسية عقــول المصريين على نحو ما تقدم ، وادرك الشعب انه لا بد له من قوى ثلاث حتى ينهض وهي قوة الجيش وقوة العلم وقوة الصحافة .

واذا قلنا عن محمد علي انه الرجل الذي انشأ مصر الجديدة فلأنه الرجل الذي فهم هذه الحقيقة المتقدمة . ويحدثنا التاريخ ان العلماء والاعيان اجتمعوا في هيئة مؤتمر وطني عام في الثالث عشر من شهر مايو (ايار) سنة ١٨٠٥ وقرروا خلع الوالي (خورشيد باشا) وتعيين محمد علي واليا عليهم بشروطهم .

ومنذ ذلك الوقت شرع الرجل في اصلاحاته العديدة واعتمد في كل هذه الاصلاحات على الفلاح المصرى فخلق منه الضابط والطبيب والمهندس والعالم والمعلم والصحفي والاديب والسياسي والحاكم، فعادت للشعب المصري ثقته بنفسه. (اما التعليم) فنحن نعلم ان محمد علي في سبيل اهتمامه بالجيش وجعله مصريا بحتا فكر في امداده بالضباط والمهندسين والاطباء والاداريين والصناع. فمن اين يحصل على هؤلاء؟

امن الازهر؟ لا - لايصلح الازهر لشيء من ذلك. وهنا اتجه تفكير هذا الرجل الى انشاء المدارس الحديثة على النموذج الاوربي. وسرعان ماوجدناه يحتكر التعليم الحديث بهذه الطريقة ويترك التعليم الديني للازهر. ولقي الرجل عنتا في نشر التعليم الحديث في اول الامر، ثم آمن الناس به آخره. واستمدت المدارس الحديثة تلاميذها في البداية من الازهر. فمنه اخذت مدرسة الطب معظم تلاميذ الدفعة الاولى، ومن الازهر ايضاً أوفدت حكومة محمد علي أول بعثة علمية الى فرنسا سنة ١٨٢٦. وكان من اعضائها رفاعه الطهطاوي. وفي هذه المدارس الحديثة درس التلاميذ علوم الهندسة والكيمياء والطبيعة والطب والرياضة والفنون الحربية وما اليها. ثم فكر محمد علي في الاستغناء عن طلبة الازهر وانشأ المدارس التجهيزية (أو الثانوية) التي تقدم على تغذية المدارس العالية بحاجتها من الطلبة.

واحتاجت هذه المدارس التجهيزية (أو الثانوية) الى المدارس

الابتدائية التي تغذيها بمن تحتاج اليهم من التلاميذ . وهكذا كان التعليم في عهد محمد علي يمثل الهرم المقلوب قاعدته الى اعلى وقمته الى اسفل .

ونجح هذا التعليم الذي نهض به محمد علي .

اولا في تغذية الجيش بالضباط والمهندسين والفنيين .

ثانيا بامداد حكومة محمد علي بالموظفين الاداريين .

ثالثا باعداد المدرسين والمترجمين الذين احتاجت اليهم النهضة الحديثة .

على ان النهضة التي اقترنت بعهد محمد علي كانت تقوم ايضاً على اساس آخر له صلة كبيرة بالتعليم ، وهذا الاساس الجديد هو :

حركة الترجمة

كان الجيش هو المحور الذي تدور عليه جميع الاصلاحات التي فكر فيها محمد علي . ومن اجله عنى بالتجارة والصناعة ، ومن اجله عنى بالتعليم بصفة خاصة . واحتاج الباشا الى المصانع الكثيرة والى المدارس الحديثة والى المدرسين الذين يدرسون للطلبة علوم الهندسة والطب وفنون الحرب . ولم تكن في مصر في ذلك الوقت كتب في هذه العلوم . ولم يكن امام الباشا الا سبيل واحد فقط لادخال هذه العلوم في المدارس الحديثة ، وهو سبيل الترجمة . ومن ثم اتجهت حركة الترجمة في عهد محمد علي وجهة علمية خالصة . وحصرت المواد

المترجمة في الطب والهندسة والكيمياء ثم السياسة والمنطق ، ثم الجغرافيا والتاريخ . واعتمد الباشا في هذا العمل الضخم الذي هو الترجمة على السوريين المقيمين في مصر اول الامر ، وذلك ريثما يعود المبعوثون من اوربا الى مصر ، فلما عاد هؤلاء الى بلادهم وكل الوالي اليهم هذا العمل . وبلغ من اهتمام الباشا بحركة الترجمة انه كان يأمر اعضاء البعثة في اثناء وجودهم في اوربا لتلقي العلم - كان يأمرهم بنقل الكتب التي يدرسون فيها المواد المختلفة الى اللغة العربية ، وكان يحاسبهم على ذلك حسابا دقيقا بالغ الدقة .

وما هي الا اعوام قليلة حتى احتشد في مصر للترجمة جيش كثيف يتألف من عدة فرق : فرقة السوريين ، وفرقة المبعوثين ، وفرقة خريجي المدرسة التي اقترح الطهطاوي انشاءها - وتم بالفعل انشاؤها - وهي مدرسة الالسن ، وفرقة الموظفين في الحكومة بزعامة مدير ديوان المدارس حينذاك ابراهيم ادهم بك ، ثم فرقة المصححين ممن عهد اليهم بتصحيح الكتب المترجمة تصحيحا لغويا في اول الامر ، ثم اصبحوا مترجمين بالفعل في نهايته .

وقد كان لهؤلاء المصححين فضلا عن التصحيح والترجمة أثر على الثقافة من نوع آخر ، وهذا الاثر هو وضع المعاجم الخاصة بشتى العلوم والفنون التي اشتغلوا بتصحيح كتبها ثم اشتغلوا بترجمتها بعد ذلك . والى جانب الكتب المترجمة التي يصعب حصرها اتجهت جهود المصريين الى عمل آخر كان له اعمق الاثر في بناء الصرح الثقافي

للامة العربية . وهذا العمل الاخير هو نشر الكتب العربية القديمة ، وقد بلغ عدد الكتب العربية المطبوعة في الادب والشعر والتاريخ والدين حتى سنة ١٨٢٩ خمسة وسبعين كتابا . فما ظنك بعدد الكتب العربية التي تم طبعها الى نهاية القرن التاسع عشر ؟

وقد حمل كل هذا العبء العظيم في عهد محمد علي ثلاث مطابع قام على انشائها هذا الرجل . وبذل لها الاموال الكثيرة لكي تقوم بأداء رسالتها على النحو المتقدم .

وفي القرن التاسع عشر جاءت الحملة الفرنسية الى مصر كما عرفنا ، ودخل الشرق العربي في حساب السياسة الاوروبية منذ ذلك الوقت . وبذل الاوربيون والمستشرقون منهم بوجه خاص جهودا كبيرة في خدمة التراث العربي ونشر الكتب العربية القديمة وانشأوا في كل جامعة من جامعاتهم كرسيا لدراسة الأدب العربي والآداب الشرقية . وبهذه الطريقة التقى التيار الاوربي في نهر الثقافة العربية بالتيار الشرقي . ومن التقاء هذين التيارين نشأ العقل المصري الحديث والعقل السوري الحديث .

وما أغرب الشبه في ذلك بين حركة الترجمة التي نؤرخ لها الآن وحركة الترجمة في العصر العباسي الاول ، مع فارق واحد لا بد من ذكره . وهو ان حركة الترجمة العباسية كانت معظم عنايتها بالفلسفة اليونانية والادب الفارسي . على حين ان حركة الترجمة المصرية كانت معظم عنايتها بالهندسة والطب والكيمياء وغيرها

من العلوم الحديثة . اما حركة الترجمة السورية - ونذكرها هنا على سبيل الاستطراد - فكانت تتجه الى الادب لا الى العلم .

وكما ايقظت الفلسفة اليونانية العقل العباسي وشاركت مشاركة قوية في تكوينه ، كذلك ايقظت العلوم الاوروبية الحديثة العقل المصري وأثرت تأثيرا بعيد المدى في اتجاهاته .

الفصل الثالث

الصحف الرسمية في دور النشأة

كما كان لحملة الفرنسيين على مصر كبير اعتناء بضبط الحوادث اليومية في دواوينهم واماكن احكامهم - على حد تعبير الجبرتي - فكذا بدا لمحمد علي ان تكون له مثل هذه العناية بضبط الحوادث والاحكام ونحو ذلك . ومن هنا صدرت في مصر طائفة من الصحف الرسمية منها ما ظهر في عهد محمد علي . ومنها ما ظهر في عهد اسماعيل.

فاما ما صدر في عهد محمد علي فصحف اهمها ما يلي :

١- جورنال الخديو .

٢- الوقائع المصرية .

٣- الجريدة العسكرية .

واما ما صدر في عهد اسماعيل من الصحف الرسمية فنها :

٤ـ صحيفة روضة المدارس .

٥ـ وصحيفة أو مجلة يعسوب الطب .

معنى ذلك ان الصحافة المصرية بدأت رسمية بحتة ؛ لانها نشأت في حجور الحكام ، وعاشت بأموالهم ، وخضعت لتوجيهاتهم ، ولم يكن لها من هدف سوى ذلك .

على ان دور النشأة في تاريخ الصحافة المصرية شهد كذلك بعض الصحف الاهلية غير الرسمية . ومع ذلك فان هذه الصحف الاهلية غير الرسمية كانت بوحي من الحكام وبأموالهم . وهي لذلك تعتبر صحفا شبه رسمية . ومنها ما صدر باسم السلطان العثماني . ومنها ما صدر باسم الوالي . وهكذا ، فمن الأولى :ـ

صحيفة السلطنة صدرت عام ١٨٥٧ . وكانت لسان حال السلطان العثماني . وكانت تدافع عنه ضد الخديو سعيد باشا والي مصر في ذلك الوقت . والسبب في اصدار هذه الصحيفة ان سعيد باشا أصدر لائحة تعرف في التاريخ باسم (اللائحة السعيدية) أصبح بها الفلاح المصري مالكا للارض التي يزرعها بعد ان كانت الارض كلها ملكا لولي الامر وحده ، يهب منها ما يشاء لمن يشاء . ولم تقف اصلاحات سعيد عند هذا الحد بل تجاوزته الى اصلاح الجيش نفسه .

فقد اخذ يحارب الارستقراطية في داخل الجيش المصري . وعاد الى استخدام الفلاح المصري في هذا الجيش كما كان يفعل محمد علي . ومن هنا نشأت العداوة بين سعيد والسلطان العثماني . وبسببها عمل

السلطان على اصدار جريدة السلطنة .

ثم في عهد اسماعيل ظهرت صحف اهلية اخـرى في دور النشأة. ومنها :ـ

١ـ صحيفة وادي النيل .

٢ـ صحيفة نزهة الافكار .

٣ـ صحيفة روضة الاخبار .

هذه احصائية تقريبيـة وليست شاملة للصحف الرسمية وشبه الرسمية او الاهلية التي صدرت في دور النشأة الذي قلنـا انه يمتد بالتقريب من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٧٦ .

وقد اغفلنا ذكر صحيفة مهمة من هذه الصحف عن قصد، وهي صحيفة الاهرام التي صدرت عام ١٨٧٥ لانهـا تمثل في الواقع الدور الذي يلي دور النشأة .

جورنال الخديو

[illegible] عام ١٨١٣ وهي السنة التي فرغ فيها محمد علي من تنظيم الحكومة وانشاء الدواوين . ورأى محمد علي ان الشؤون المالية والزراعية وشؤون التعليم والعمـران تحتاج الى ملخص أو تقرير يقدم اليه باسـم « جورنال » وكان الوالي ينظر في هذا التقـرير أو الجورنال مرة في الشهر على الاقل . ثم رأى ان هذه المدة طويلة اكثر مما يلزم ، فطلب ان يقدم اليه هذا التقرير كل اسبوع . ثم اصدر امره

الى المسؤولين ان يكونوا مستعدين لتقديمه في أي وقت يشاء . وكان هذا التقرير ينسخ بخط اليد اول الامر : وبقى على ذلك حتى انشاء محمد علي مطبعة القلعة سنة ١٨٢١ فاصبح التقرير يطبع فيها . أما عدد النسخ التي تصدر منها – أي من هذه الصحيفة – فلم يزد على المائة . وكان صدورها باللغتين العربية والتركية ، وكانت تشتمل على الاخبار الحكومية وبعض قصص من الف ليلة وليلة . وكان يسمح لبعض موظفي الحكومة بالاطلاع على هذا الجورنال . أما الشعب فلم يكن له ادنى صلة بهذه الصحيفة . واستمر الحال على ذلك حتى ظهرت الجريدة الرسمية الثانية ونعني بها :–

الوقائع المصرية

تبين الوالي بعد ذلك ان الشعب المصري يجب ان يطلع على اعمال الحكومة وأن يقف على اصلاحات الوالي ، وجورنال الخديو بالصورة المتقدمة ليس له هذا الطابع .

فاتجه الوالي الى انشاء جريدة اخرى لهذا الغرض – او بعبارة اخرى – الى تطوير (جورنال الخديو) بحيث يصدر باسم جديد ؛ هو (الوقائع المصرية) . وقد صدر اول عدد من اعدادها في ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٢٨ .

وكانت الوقائع المصرية لذلك تصل الى امراء البيت المالك والى العلماء ورجال الدين والى طلبة العلم في مصر واوربا والى جميع موظفي الحكومة بلا استثناء . وكانت الوقائع المصرية بوحي من الوالي

تشتمل على خلاصة للحوادث التي تقع في جميع جهات القطر المصري . كما كانت تشتمل كذلك على عبارات الثناء والولاء للوالي ووصفه بالعدل في الحكم ونحو ذلك ، وكان شرطاً في مقدمة الصحيفة (أو مقالها الافتتاحي) ان تتضمن هذه العبارات . وكان من عادة الوالي ان يراجع بنفسه مسودات الصحيفة قبل ارسالها الى المطبعة . كما حرصت الوقائع كذلك على نشر انباء الجيش وترقيات الضباط والاشادة بانتصاراتهم الحربية .

ثم دخلت الوقائع المصرية في طور ثان من اطوار حياتها ؛ وذلك بمجيء رفاعه رافع الطهطاوي اليها ؛ وذلك عام ١٨٤١ كما سنشير الى ذلك فيما بعد .

على ان صحيفة الوقائع المصرية هي الصحيفة التي عاصرت الصحافة المصرية في جميع الاطوار التي مرت بها الى اليوم . ولكننا نتحدثنا الآن عن هذه الصحيفة في الطور الاول فقط وهو طور النشأة .

الجريدة العسكرية

في بداية حرب الشام سنة ١٨٣٣ فكر محمد علي في انشاء جريدة رسمية الى جانب الوقائع المصرية وهي الجريدة العسكرية ، كانت تصدر كل يومين ، وكانت تطبع بمطبعة الجهادية . وقد اقتصرت عنايتها تقريبا على نشر الجرائم التي تقع في الايات الجيش وتنشر الاحكام التي تصدر ضد اصحاب هذه الجرائم . غير ان هذه الصحيفة لم تعش طويلا وربما كان سبب ذلك معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ [illegible] المعاهدة

التي حدثت من نشاط الجيش المصري فلم تعد هناك ضرورة ملحة للمضي في نشر هذه الصحيفة .

وبالاضافة الى هذه الجرائد الرسمية التي انشأها محمد علي اصدر هذا الرجل في جزيرة كريت بعد ان استولى عليها سنة ١٨٢٢ صحيفة اخرى سماها ...

وقائع كريدية

وكانت تصدر على نظام شبيه بالوقائع المصرية وتقوم بتسجيل مجالس الحكم في الجزيرة . كما تقوم على تنظيم دعاية للوالي في ربوع هذه الجزيرة ، وتدافع عن سياسته ، وكانت تطبع باللغتين التركية واليونانية .

وبالاضافة الى كل ما تقدم نجد ان هناك صحيفة فرنسية يجب الاشارة اليها وعلى الرغم من انها ليست من الصحف الرسمية فأنه يصح النظر اليها على انها كذلك ، وهذه الصحيفة هي :-

لوموتيور اجبشيان

في صيف عام ١٨٣٣ ظهرت صحيفة فرنسية اسبوعية اسمها (لومونتيور اجبشيان) وكان مقرها مدينة الإسكندرية حيث تقيم الجاليات الاجنبية . وكان محمد علي يمدها بالمال اللازم لها . وكان من الاسباب التي دعته الى بذل هذه المعونة رغبته في مناصرتها له في نزاعه ضد السلطان العثماني الذي كان ينشر باسمه جريدة اخرى

بعنوان (لومونتير اوتومان) وكانت هذه الاخيرة توالي الهجوم على محمد علي ، ولا تألو جهدا في نقد سياسته . والظاهر ان هذه الصحيفة الفرنسية التي نتحدث عنها لم تدم اكثر من ثمانية اشهر .

عودة الى الوقائع المصرية

ونعود الى الوقائع المصرية التي هي في حقيقة الامر اهم الصحف الرسمية فنقول ..

مضى عهد محمد علي وتلاه عهد عباس الاول فسعيد . وفي عهدهما اصاب الحياة المصرية الفكرية شيء من الركود . فاغلق ديوان المدارس (وزارة التربية والتعليم) واغلقت المصانع والمعامل . وفسد الجيش نفسه بدخول الجند الارناؤط الذين حاول محمد علي ان يتخلص منهم . وتوقفت الوقائع المصرية عن الصدور .

وبقي الحال على ذلك حتى جاء اسماعيل فاصدر امره اولا بان تكون جميع المكاتبات الحكومية باللغة العربية بعد ان كانت باللغة التركية . كما اصدر امره بانشاء المدارس الحربية والعودة الى ايفاد البعثات الى فرنسا وامريكا لتدريب الجيش المصري على النظم الغربية .

كما اصدر امره باعادة الوقائع المصرية وباصدار صحف اخرى علمية وادبية وحربية. من اهمها صحيفة « يعسوب الطب » وصحيفة « روضة المدارس » وصحيفة « اركان حرب الجيش المصري » .

صحيفة روضة المدارس

وهي صحيفة علمية ادبية تولى امرها باذن من اسماعيل باشا في ذلك الوقت رفاعه رافع الطهطاوي . وصدر العدد الاول منها في السابع عشر من شهر ابريل (نيسان) سنة ١٨٧٠ . و كانت تصدر مرتين في الشهر ، ويطبع منها ٢٥٠ نسخة في كل مرة زيدت فيما بعد الى ٧٠٠ نسخة . و كان يكتب فيها رجال مثقفون بالثقافتين العربية والاوربية منتخبون لهذه الغاية : فبعضهم يكتب في الجغرافيا ، وبعضهم يكتب في التاريخ ، وبعضهم يكتب في الكيمياء أو الفيزياء ، وبعضهم يكتب في الادب او الانشاء وهكذا .

واما من الناحية الاخبارية البحتة فكانت روضة المدارس تعني باخبار التلاميذ والامتحانات . كما كانت تعني بما كان يقال في الامتحانات من الكلمات الافتتاحية والكلمات الختامية ، وكلها ثناء على الوالي لتشجيعه حركة انتشار المدارس . وهكذا كانت روضة المدارس أول صحيفة مصرية تعني بالعلوم والاداب ، وهي تعتبر أما لجميع المجلات العربية في هذا الميدان كما كانت هذه المجلة في الواقع معرضا للكتب التي يقوم بتأليفها الاساتذة والعلماء . فقد كان كل واحد من هؤلاء ينشر كتابه العلمي أو الادبي أو الفني فصلا فصلا في صحيفة روضة المدارس ، ثم تجمع هذه الفصول في النهاية وتتألف منها الكتب على اختلافها . وهناك صحيفة اخرى عاشت في دور النشأة وهي ...

مجلة يعسوب الطب

وتعتبر اولى المجلات المصرية بل انها أقدم الصحف الطبية في الشرق العربي كله . انشئت عام ١٨٦٥ وكانت تصدر شهرياً . وكان يحررها (محمد علي باشا الحكيم) وهو كبير الاطباء المصريين لذلك الحين . واشترك معه في تحريرها عدد كبير من الاطباء المصريين والاجانب على السواء . وكانت تعنى بالموضوعات الطبيـة والصحية وتسلك طريقة علمية في كل ذلك .

وفي عام ١٨٦٥ ايضا صدرت جريدة رسمية اخرى وهي ..

الجريدة العسكرية المصرية

وكانت شهرية وقداقتصرت بطبيعة الحال على معالجة الموضوعات الحربية والعسكرية واشترك في تحريرها عدد كبير من الضبـاط المصريين والضباط الاجانب . وظهر فيها كذلك اسماء بعض الكتاب والادباء . ثم اختفت هذه الجريدة وتركت المكان لجريدة اخـرى بعنوان .

جريدة اركان حرب الجيش المصري

وقد ظهرت عام ١٨٧٣ وكانت صدى لهيئة اركان حرب الجيش المصري التي تألفت في تلك السنة . وكانت اكثر تخصصا من زميلتها في الفنون الحربيـة . وكانت تعني بنشـر فصول عن وقائع الجيش المصري في الشام والجزيرة العربية وغيرها .

* * *

ولا نستطيع ان ندع الكلام عن الصحافة الرسمية في دور النشأة دون أن نقف وقفة خاصة عند رائد الصحافة المصرية في هذا الدور. ونعني به رفاعه رافع الطهطاوي. وسنخص هذا الرائد الاول بفصل من فصول هذا الكتاب. وان كان هذا الكتاب لن يتسع لشخصية صحفيه اخرى من الشخصيات الرائدة في كل مرحلة من المراحل التي مرت بها الصحافة المصرية[1].

---

(١) ولمن أراد التعرف على هذه الشخصيات الصحفية الكبيرة أن يرجع الى كتاب «ادب المقالة الصحفية» باجزائه الثمانية للمؤلف.

وفيها الكلام عن كل من: رفاعه الطهطاوي، وعبدالله ابي سعود، ومحمد انسي، وفارس الشدياق، والبستاني، واليازجي (في الجزء الاول) واديب اسحق، ومحمد عبده، وعبدالله النديم (في الجزء الثاني) وابراهيم المويلحي (في الجزء الثالث) . والسيد علي يوسف (في الجزء الرابع) ومصطفى كامل (في الجزء الخامس) واحمد لطفي السيد (في الجزء السادس) وامين الرافعي (في الجزء السابع) وعبدالقادر حمزة (في الجزء الثامن). وفي الطريق الى المطبعة بمشيئة الله تعالى (الجزء التاسع) وموضوعه (الدكتور محمد حسين هيكل في جريدة السياسة).

الفصل الرابع

رفاعه الطهطاوي
أو الرائد الأول للصحافة المصرية

لا نستطيع ان ندع الكلام عن الصحافة المصرية في دور النشأة دون أن نقف وقفة خاصة عند رائد الصحافة المصرية في هذا الدور. ونعني به رفاعه رافع الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٢) .

وهو أول رائد من رواد النهضة الحديثة .

وأول زعيم لحركة النقل أو الترجمة .

وأول أستاذ من أساتذة الصحافة وأعلامها في مصر .

لكن ما هي العلاقة بين الصحافة والترجمة ، وكيف جمع الرجل بينهما ؟ وما السبب في ذلك ؟

نحن نعلم ان النهضة التي تملت البلاد المصرية في القرن التاسع عشر انما قامت على عمد كثيرة من اهمها العمد الثقافية البحتة ، ومن اهمها اذ ذاك عمود المدارس الحديثة وعمود الترجمة .

ونحن نعلم ايضا انه كان لزاما على الصحافة المصرية منذ نشأتها أن تساير النهضة وتجرى معها في شوط واحد ، ولذلك أوجبت الصحافة المصرية على نفسها أن تجعل الهدف الثقافي أول هدف لها في دور النشأة . ومن هنا جاءت عناية الصحف المصرية بالترجمة ، ومن هنا كان رائد الصحافة الاول رفاعه الطهطاوي يجمع بين الصحافة والترجمة .

ولد رفاعه الطهطاوي بمدينة طهطا بصعيد مصر ، وذلك عام ١٨٠١ ميلادية وقضى خمس سنوات في الازهر نجح بعدها للتدريس في هذه الجامعة الاسلامية الكبرى ، وكان من اساتذته في هذه الجامعة الشيخ حسن العطار ، وهو شيخ واسع الافق مولع بالرحلات ، عرف بمرونة عقلية لم تكن في زملائه من شيوخ الازهر في ذلك الوقت ، كما كان الشيخ العطار مولعا بالعلوم التي لا يأبه لها الازهر حينذاك كعلم التاريخ وعلم الجغرافيا وقد غرس الشيخ كل هذه الميول في تلميذه رفاعه .

وحين طلب محمد علي الى هذا الشيخ أن يختار له اماما لبعثة علمية الى فرنسا اختار له رفاعه، فسافر في السادس من رمضان عام ١٢٤١هـ (الموافق ١٤ من ابريل – نيسان – ١٨٢٦ م) الى فرنسا .

وأوصى الاستاذ تلميذه يومئذ بأن يسجل كل ما يراه في رحلته من بدايتها الى نهايتها ، ففعل التلميذ ذلك وتألف له من ذلك كتاب مشهور هو كتاب (تخليص الابريز في تلخيص باريز) . وينظر الباحثون الى هذا الكتاب على انه نقطة التحول في تاريخ مصر من الناحيتين العقلية والسياسية . وفي هذا الكتاب وصف رفاعه كل ما شاهده في باريس من الاحداث السياسية والمجامع العلمية ودور الكتب ومعاهد العلم والمتاحف الاثرية وخزائن المستشربات كما سماها ، وكان مما شاهده رفاعه في باريس تلك الثورة العنيفة التي قام بها الشعب الفرنسي ضد الملك شارل العاشر ووزيره بوليناك ، وكانا مسرفين بنزعتهما الاستبدادية فغضب عليهما الشعب وثار لمبادىء الحرية والاخاء والمساواة . وعرفت ثورته هذه في التاريخ باسم الايام الثلاثة المجيدة . واسقط شارل العاشر وأقام مكانه الملك لويس فيليب . وعني الطهطاوي فوق ذلك بترجمة العهود التي اخذها الشعب الفرنسي على ملوكه وهي العهود التي اطلق عليها الفرنسيون اسم (Chartes) وقد ترجم الطهطاوي هذه الكلمة الفرنسية بلفظة (شرطه) وهي كلمة عربية تحمل نفس المعنى . وفي هذا الكتاب كذلك تحدث الطهطاوي عن نظام الحكومة الفرنسية ومجلس النواب الفرنسي .

وعرف الطهطاوي من الثقافة الفرنسية قدرا كبيرا أصبحت به ثقافة هذا الرجل موسوعية الطابع ثم اتى وقت امتحانه في نهاية المدة التي أقامها في باريس وهي خمس سنوات ، فقدم الطهطاوي الى

لجنة الامتحان اثنتي عشرة رسالة مترجمة في علوم شتى كالتاريخ والتقويم والكيمياء ودوائر المعارف وأخلاق الامم والجغرافيا والهندسة والفنون الحربية والميثولوجيا والسياسة .. الخ .

وعاد الرجل الى مصر وعين مترجما بمدرسة الطب ثم نقل منها الى مدرسة الطوبجية ، ثم اقترح على الوالي انشاء (مدرسة الالسن) قام الوالي بانشائها وبتعيين رفاعه مديرا واستاذا لها ، ثم الحق بالمدرسة قلم الترجمة ، وبلغ عدد الكتب التي ترجمها خريجو هذه المدرسة الفي كتاب في علوم التاريخ والهندسة والفنون الحربية والقانون وغيرها .

ومضى عهد محمد علي وخلفه عباس الاول ، وكان رجلا رجعيا قام بالغاء مدرسة الالسن وسافر رفاعه الى السودان وعين بها مديرا لمدرسة مصرية وذلك في ١٠ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ سنة ١٨٤٨ ، وهناك طال منفاه ثلاث سنوات شغل نفسه في خلالها في ترجمة الرواية الفرنسية (تلامك) الى العربية ثم تولى سعيد باشا حكم مصر سنة ١٨٤٥ ميلادية قام باعادة الطهطاوي الى مصر وعين ناظراً للمدرسة الحربية بها . اذ ذاك عاوده الحنين الى مدرسته القديمة وهي مدرسة الالسن فما زال بالخديو حتى أمر باعادة المدرسة واعادة قلم الترجمة .

على أن الطهطاوي كانت له عناية كذلك بنشر الكتب العربية القديمة ادرا كاً منه ان هذه الكتب لا بد أن تشترك مع الكتب

الأوربية الحديثة في تكوين العقل العربي الحديث ، فنشر كتبا عديدة منها « الفخر الرازي » و كتاب « معاهد التنصيص » و كتاب « خزانة الادب » و « مقامات الحريري » وغير ذلك .

وبذلك يكون رفاعه الطهطاوي أول من وضع عمادين كبيرين من عمد النهضة الحديثة وهما عماد الترجمة وعماد النشر ، واليهما اضاف الرجل عمودا ثالثا من اعمدة النهضة وهو عمود التأليف ، وكان ذلك في عهد اسماعيل .

وكان الهدف الاول من التأليف عند الطهطاوي وضع الكتب التي تحتاج اليها المدارس الحديثة في مادة اللغة العربية ومادة التاريخ ومادة يصح ان نسميها بحق (مادة الثقافة العامة) فمن اجل اللغـة العربية وضع الطهطاوي كتبا حديثة في النحو مثل كتاب (التحفة المكتبية في القواعد والاحكام والاصول النحوية) كما وضع كتبا في المطالعة مثل كتابه (مباهج الالباب المصرية في مناهج الاداب العصرية) .

ومن كتبه في التاريخ كتابه في السيرة النبوية الشريفة وعنوانه (نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز) ، وكتابه (انوار توفيق الجليل في اخبار مصر وتوفيق بن اسماعيل) ومن كتبه في الثقافة العامـة كتابه (المرشد الامين للبنات والبنين) .

وقد احصى صالح مجدي في كتابه (حلية الزمن بمناقب خادم الوطن) . مؤلفات الطهطاوي ـ عدا كتبه المترجمة ـ فأربت على سبعة

عشر كتابا قال انها في الرحلات والجغرافيا والنحو والبلاغة والشعر والادب والفقه والقانون والقصص والهندسة والطب .

(وبعد) فمرة أخرى نقول إننا اتينا بترجمة للرائد الاول للصحافة. بالرغم من أن تراجم الرواد لا مكان لها في الحديث الموجز عن تاريخ الصحافة . ولكن عذرنا في ذلك واحد . وهو أن رسالة الصحافة المصرية في الدور الرسمي من ادوارها لا تتضح مطلقاً الا بهذه الطريقة . لذلك ترانا لا نلتزم نفس الطريقة مع رواد الصحافة المصرية في ادوارها التاريخية التي تلي هذا الدور .

الفصل الخامس

الصحافة الاهلية في دور النشأة

قلنا إن دور النشأة شهد لونين من الصحافة المصرية ..

أولهما ـ اللون الرسمي أو الحكومي .

والثاني ـ اللون الاهلي أو الشعبي غير الحكومي .

وكانت الصحف الرسمية الحكومية ـ كما رأينا ـ تعبيراً صادقاً عن حياة الدولة من جهة وعن سياسة الحكام واتجاهاتهم من جهة ثانية. ثم ولي الحكم اسماعيل سنة ١٨٦٣ فشهدت البلاد في عهده ميلاد الصحافة الاهلية وكانت لذلك اسباب عديدة منها ما عجل بظهورها. ومنها ما ساعد بعد ذلك على نموها . وهذه الاسباب هي :ـ

١ـ ان الكيان الشعبي لمصر قد بدأ يتكون في ذلك الوقت .

٢ـ رغبة اسمعيل في الاعتماد على الصحافة الاهلية في الدفاع عنه

ضد الباب العالي من جهة ، وضد الاجانب المقيمين في مصر من جهة ثانيـة ، وضد الحكومات التي ينتمي اليهـا اولئك الاجانب آخر الامر . غير أن الصحافة الاهلية كانت في الواقع سلاحا ذا حدين . فقد دافعت عن اسمعيل ضد هذه الجهات، وارضته من هذه الناحية . وانبرت في الوقت نفسه لنقد سياسة اسمعيل واحراجه من ناحية ثانيـــة .

٣ـ قيام الحرب الروسية التركية . وسخط اسمعيل بينه وبين نفسه على هذه الحرب ، وعدم رغبته في تقديم المساعدات للسلطان آنذاك وتركه الصحافة المصرية لاول مرة في تاريخها تتحدث عن هذه الحرب بحرية وطلاقـة لا عهد لها بها من قبل . ومعنى ذلك ان نشوب هذه الحرب وان لم يكن من الظروف التي عجلت بظهور الصحافة الاهلية ، الا انه كان من الظروف التي ساعدت على نموها فيما بعد . ذلك ان الصحف الاهليةظهرت قبل نشوب الحرب الروسية التركية بسنوات قليلة .

٤ـ ان حركة التنوير أو الحركة الفكرية التي تحدثنا عنها في الفصول الماضية كانت قد أتت اكلها وانتجت ثمارها . وكان من نتيجة ذلك ان بدأ في مصر ما يسمى بالرأي العام المصري .

٥ـ ان هذا الرأي العام المصري اخذ يتحدث في امور كثيرة منهـا : استبداد اسمعيل والديون التي غرق فيها لاذنيـه ، ومنهـا التدخل الاجنبي الذي كان نتيجة حتمية لهذه الديون . ومنها النزاع

الذي كان بين الخديو والباب العالي . ومنها قيام الحرب الروسية التركية ، وانقسام الرأي المصري إذ ذاك الى فريقين : فريق يتحمس للاتراك وآخر يتحمس للروس . كما وانقسمت الصحف المصرية الاهليه تبعا لذلك الى فريقين ايضاً . فريق يظهر الاعجاب بابطال الترك كما فعلت جريدة مصر لاديب اسحق . وفريق يظهر الاعجاب بابطال الروس كما فعلت جريدة الوطن لصاحبها ميخائيل عبد السيد .

ومن الاسباب التي أدت الى ظهور الصحافة الاهلية في مصر سببان آخران كذلك هما :

٦ـ ظهور السيد جمال الدين الافغاني في مصر فجأة . وما قلناه عن الحرب الروسية التركية هو مانقوله عن ظهور السيد جمال الدين الذي عاش في مصر بين عامي ١٨٧١ ، ١٨٧٦ .

٧ـ هجرة السوريين الى مصر ومشاركتهم في اسباب النهضة المصرية على النحو الذي شرحناه في الكلام عن الاجواء الفكرية التي عاشت فيها الصحافة الاهلية بعد الصحافة الرسمية . ونخص هذين السببين الاخرين بكلمة موجزة فيما يلي :ـ

السيد جمال الدين الافغاني

ظهر السيد جمال الدين الافغاني في مصر فجأة وقضى بها ست سنوات من (١٨٧١ ـ ١٨٧٦) كانت كلها خيراً وبركة ، ونظرت اليه مصر يومئذ على انه رسول الحرية . وكانت مصر إذ ذاك قد ساءت احوالها المالية بسبب ديون اسمعيل ، ونكبت البلاد بتدخل الدول

الاجنبية التي انشأت فيها نظام (المراقبة الثنائية) على اموال الدولة المصرية . ثم انشأت في البلاد نظام (الوزارات المختلطة) وبه اصبح في الوزارة وزيران اجنبيان احدهما انجليزي والاخر فرنسي .

في هذه الظروف هبط الافغاني الى مصر وانتهز فرصة سوء الحال بها فقام بإلقاء دروس موضوعها في الظاهر المنطق والفلسفة وهي في الحقيقة أو الباطن شرح لفكرته الخاصة عن حالة المسلمين بعد ان اصبحوا فريسة للاستعمار الاوربي . وكان السيد جمال الدين الافغاني بدأ لذلك طريقة اخرى هي طريقة الكتابة في الصحف . وكان من تلاميذه إذ ذاك كثيرون . منهم محمد عبده ، وسعد زغلول . واديب اسحق ، وعبدالله النديم ، ويعقوب بن صنوع وهو رجل اسرائيلي حمل لواء الصحافة الساخرة في مصر .

وهكذا حمل السيد جمال الدين الافغاني لواء الاصلاح في مصر وهو اصلاح ذو شعبتين . احداهما سياسية ، والاخرى ثقافية . واتى تلاميذه من بعده فاستقل كل منهم بشعبة واحدة منها .

واوحى الافغاني في اثناء مقامه في مصر الى كثير من المصريين والسوريين بانشاء الصحف التي منها .

١ـ صحيفة مصر لصاحبها السيد أديب اسحق ، وهو سوري .

٢ـ صحيفة التجارة لصاحبها أديب اسحق وسليم النقاش .

٣ـ جريدة ابي نظارة ، ليعقوب بن صنوع .

٤ـ صحيفة العروة الوثقى ، وهي الصحيفة التي تولى اصدارها

بنفسه السيد جمال الدين بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده حين كانا منفيين معا في باريس .

السوريون في مصر

فر الكثيرون من السوريين الى مصر ليتمتعوا فيها بحرية نسبية وليقوموا فيها بنشاط ادبي وفني وصحفي لفت انظار الحكومة والشعب المصري حتى اعتقد الكثيرون خطأ ان الصحافة الاهلية في مصر انما نشأت بفضل اولئك السوريين وحدهم . والحقيقة غير ذلك . فقد بدأت هذه الصحافة الاهلية في مصر بداية مصرية بصحيفة وادي النيل التي ظهرت عام ١٨٦٧ وكان يقوم بتحريرها مصري اسمه عبدالله ابو السعود . وكان يعتمد في اصدارها كما قلنا على مال اسمعيل ووحي اسمعيل ، ثم تلتها صحف اهلية اخرى منها على سبيل المثال .

١ ـ صحيفة نزهة الأفكار لصاحبيها ابراهيم المويلحي وعثمان جلال

٢ ـ صحيفة روضة الافكار لصاحبها محمد انسي وهو نجل عبدالله ابي السعود صاحب جريدة وادي النيل .

وهكذا طفقت الصحف الاهلية تنافس الصحف الرسمية منافسة قوية حتى بدأت هذه الصحف الرسمية تزول من الوجود المصري واحدة بعد اخرى . ولم يبق منها على الزمن غير صحيفة واحدة هي صحيفة (الوقائع المصرية) التي ما زالت موجودة الى اليوم .

ومهما يكن من شيء فان دور النشأة لم يشهد من الصحف

الاهلية غير عدد قليل جـدا اهمهـا صحيفتان هما .

١ـ صحيفة وادي النيل ، لعبدالله ابي السعود .

٢ـ صحيفة نزهة الافكار للاديبين ابراهيم المويلحي وعثمان جلال.

صحيفة وادي النيل

قلنـا ان اسمعيل كان له في محاربة التدخـل الاجنبي في مصر طريقان لا ثالث لهما ، وهما طريق مجلس شورى النواب الذي تم تأسيسه عام ١٨٦٦ للميلاد ، وطريق الصحف الاهلية شبه الرسمية ومنها صحيفة وادي النيل التي تأسست سنة ١٨٦٧ ميلادية .

لذلك أوصى اسمعيل الى رجل مصري هو (عبدالله ابو السعود) بإنشاء هذه الجريدة ، وكان هذا الرجل قد تخرج في مدرسة الالسن على يد استاذه رفاعه رافع الطهطاوي . وعين بعد تخرجه مباشرة رئيسا لقلم الترجمة الذي انشيء في عهد اسمعيل ايضا . وكان في الوقت نفسه استاذاً لمادة التاريخ بمدرسة دار العلوم واستاذاً لمادة الترجمة في مدرسة الالسن .

والمهم ان نعرف ان صحيفة وادي النيل كانت صورة دقيقة من الوقائع المصرية . وقد كتب تحت عنوانها هذه العبـارة (جريدة علمية ادبية سياسية اسبوعية) .

وأما مواد الصحيفة فكانت كما يلي..

١ـ الحوادث الداخلية ، أو اخبار الاسبوع .

٢ـ مجلس شورى النواب المصري ، واخبار هذا المجلس منقولة بالنص عن صحيفة الوقائع المصرية .

٣ـ اعلانات الصحف الجديدة التي تصدر في العالم الاسلامي .

٤ـ وريقات وادي النيل ، وهي عبارة عن صفحة الاعلانات عن المطبوعات الجديدة والمنشورات المفيدة . وفي هذه الصفحة كان يعلن بعض رجال العلم والادب عن كتبهم ومؤلفاتهم ونحو ذلك .

٥ـ بعض فصول من الكتب الادبية والتاريخية القديمة . وكان أول كتاب اعلنت عنه الجريدة هو كتاب (رحلة ابن بطوطة) .

٦ـ مادة الزراعة .

صحيفة نزهة الافكار

حبيها ابراهيم المويلحي وعثمان جلال . صدرت عام ١٨٦٩ .

ـ ظهر انه لم يصدر منها ـ فيما يقال ـ غير عددين فقط ، ثم اتاها امر الالغاء فالغيت وكان هذا الالغاء نتيجة لما بدأت تفعله هذه الجريدة من توجيه النقد للحكومة . فرأت الحكومة أن من الخير لها ان تبادر الى الغائها حتى لا يستفحل امرها وتصبح خطراً يصعب اتقاؤه فيما بعد .

(وبعد) فقد تميزت الفترة التاريخية التي شهدت ميلاد الصحافة الاهلية في مصر بهدوء سياسي نسبي . وكانت البلاد قد استراحت في أثنائه من مشكلاتها السياسية بعض الشيء . وكانت الثورة

العرابية قد أخفت اشراطها ، ولا يكاد يوجد في مصر من يتنبأ بحدوثها أو يتكهن بقرب نشوبها .

واستمر الحال على ذلك حتى بدأت الصحافة المصرية دوراً جديداً في تاريخها ، وهو دور الشباب أو دور الكفاح من أجل الحرية . وذلك ما سنتحدث عنه في الفصل الآتي .

الفصل السادس

الصحافة المصرية في دور الشباب

أو دور الكفاح من أجل الحرية

١٨٧٥ ـــ ١٨٨٢

قلنا بان من الامور التي مهدت لظهور الصحف الاهلية وتفوقها على الصحافة الرسمية امرين عظيمين هما ..

١ـ ظهور السيد جمال الدين الافغاني في مصر فجأة وقضاؤه في مصر ست سنوات ما بين ١٨٧١ – ١٨٧٦ .

٢ـ ونشوب الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧ .

ولسنا بحاجة الى اعادة القول في هذين الحدثين الكبيرين اللذين اعانا على تكوين الرأي العام المصري . لذلك شبت الصحافة المصرية

(٥)

عن الطوق ، واخذت تنمو وتترعرع حتى جاوزت دور النشأة الى دور الشباب . وكان من دلائل ذلك ما وجدناه من العدد الوفير من الصحف الاهلية . فهي ظهرت في تلك الفترة القصيرة التي لم تزد على سبع سنوات ، والتي تمتد بين عامي ١٨٧٥ – ١٨٨٢ . كما كان من دلائل شباب الصحافة المصرية ايضا ذلك القسط الكبير من الحرية التي تمتعت بها الصحف في ذلك الدور . ومن الصحف الاهلية التى صدرت اذ ذاك ما يلي :ـ

١ـ الاهرام ١٨٧٥

٢ـ الوطن ١٨٧٧

٣ـ مصر ١٨٧٧

٤ـ التجارة ١٨٧٧

٥ـ ابو نظاره ١٨٧٧

والى جانب الصحف الاهلية المتقدمة رأينا كذلك الصحف التالية :

٦ـ مرآة الشرق ١٨٧٩

٧ـ مصر الفتاة ١٨٧٩

٨ـ مصر القاهرة ١٨٧٩

٩ـ البرهان ١٨٧٩

١٠ـ الطائف ١٨٨١

١١- المفيد ١٨٨١

١٢- التنكيت والتبكيت ١٨٨١

يضاف الى كل ذلك جريدة الوقائع المصرية التي أدت دورها كاملا في طور الشباب كما أدت دورها كاملًا في طور النشأة . وقد عاشت هذه الصحيفة أزهى عصورها في الفترة بين عامي ١٨٨٠ ، ١٨٨١ حين كان يتولى تحريرها الشيخ محمد عبده بعد أن وضع لها نظاما حديثا من حيث التحرير والادارة ، وجعلها تصدر باللغة العربية وحدها ، وابتعد بها عن الطابع الرسمي ، وقربها كثيرا من الصحف الاهلية . وزخرت الوقائع المصرية إذ ذاك بالمقالات الاجتماعية والفلسفية والدينية . وشاركت مشاركة قوية في حركة الاصلاح . وكان يعاون الشيخ محمد عبده في تحرير الوقائع نخبة من تلاميذ الافغاني . ومنهم الشيخ عبدالكريم سلمان ، وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوي وغيرهم .

علينا بعد ذلك أن نقف وقفة قصيرة عند اكثر الصحف المتقدمة :-

الاهرام

قام بتأسيسها رجلان لبنانيان وهما سليم وبشاره تقلا . ونشأت الاهرام اسبوعية بمدينة الاسكندرية حيث تقيم الجاليات الاجنبية وتروج الحركة التجارية . ثم انتقلت الى القاهرة واخذت تصدر اسبوعية كذلك . وكانت نظارة الخارجية قد اشترطت على صاحبي

الاهرام الا يخوضا في السياسة . وفعلا ذلك حتى قامت الحرب - الروسية التركية ، فتدخلت الاهرام كثيرها من الصحف المصرية في الشؤون السياسية . وانتهت الحرب واصبحت البلاد المصرية موضوعا للمساومات السياسية في محادثات الصلح بين تركيا والبلاد الاوربية . فكان ذلك من الدوافع التي دفعت الصحافة المصرية الى خوض موضوع جديد عليها كل الجدة ، ونعني به (وضع مصر الدولي) . ومن ذلك الوقت اتسع مجال الصحافة ، كما اتسعت الفرص لتكوين الرأي العام المصري ، وعاد ذلك على الصحافة الاهلية بالنضج الحقيقي والادراك الصحيح لواجب الصحفي .

ثم تظهر في الافق المصري غيوم تكفهر لها سماء مصر ويزداد تدخل الاجانب فيها ، وتضطرب الامور في اواخر عهد اسمعيل ، ويشتد السخط العام على هذه الحالة ، وتعبر الصحف عن كل ذلك ، ويزداد نصيبها من الحرية . ثم يعزل اسمعيل عن العرش عام ١٨٧٩ ويتولى ابنه توفيق حكم البلاد ، وتسمع لذلك رنة فرح كبير في الدوائر الصحفية ، وتحسن الصحف استقبال توفيق ، ثم سرعان ما تبين لها ضعف هذا الوالي الجديد امام الاجانب ، وخضوعه خضوعا تاما لمشورة هؤلاء الاجانب وخاصة حين اشاروا عليه بطرد جمال الدين الافغاني من مصر الى فرنسا .. فماذا كان موقف الاهرام في تلك الآونة ؟

خاضت الاهرام المعركة وأخذت جانب المعارضة ضد الخديو .-

. ولكنها وقفت في الوقت نفسه الى جانب فرنسا فاضطرت الحكومة الى اغلاقها ، واضطر صاحباها الى اصدار جريدة اخرى بعنوان (صدى الاهرام) . ثم امرت الحكومة باغلاق الاخيرة ايضاً ، ثم سمحت بالافراج عن الاولى وذلك بفضل مساعي القنصلية الفرنسية .

(والخلاصة) ان حياة الاهرام في دور الشباب (أو في الطور الاول من اطوار عمرها الطويل) كانت حياة كفاح من اجل الوجود ، وكفاح من اجل الحرية .

الوطن

وهي جريدة سياسية أسبوعية يحررها رجل من أقباط مصر هو ميخائيل عبد السيد . وقد اشتركت جريدة الوطن كزميلاتها من الصحف في الحديث عن الحرب الروسية التركية وأخذت جانب الروس ضد الاتراك . وكانت الحكومة المصرية اذ ذاك في خلاف مع السلطان العثماني جعلها تتغاضى عما تنشره الصحف من كل ذلك .

ومن الأمور السياسية التي خاضت فيها الصحيفة كذلك أمر تعيين أول وزارة مصرية برياسة نوبار باشا . وقد عرفت في التاريخ باسم الوزارة المختلطة لاشتمالها على وزيرين اجنبيين احدهما انجليزي والاخر فرنسي وكان من سيئات صحيفة الوطن انها احسنت استقبال هذين الوزيرين اول الامر وتفاءلت بقدومهما . ثم خيب الوزيران املها بعد ذلك .

ثم رأينا صحيفة الوطن بعدئذٍ تعدل عن خطتها الأولى وتهاجم

الوزيرين الاجنبيين وتدافع عن النواب المصريين في داخل مجلس شورى النواب وتؤيدهم في هجومهم على الوزارة المختلطة وتبلغ في هذا المجال شأواً بعيداً .

مصر

أصدرها شاب سوري هو أديب اسحق بوحي من استاذه جمال الدين الافغاني . وكان يشاركه في تحريرها صديقه سليم النقاش . وكان مقرها القاهرة . ثم نقل مقر الجريدة الى الاسكندرية . وكانت لهذه الجريدة جرأة كبيرة في نقد الحكومة وذلك في امور كثيرة منها :- اعتماد الحكومة المصرية على الاجانب الى درجة كبيرة . وقد وصف اديب اسحق ذلك (بانه بربرية اوربيـة لا يجوز السكوت عليها لان القوم نازعونا الارض التي جبلت بدم آبائنـا ، واصبحوا امراء في بلادنا .

وناضلت جريدة مصر عن الوطن المصري نضالا عنيفا تعرضت من اجله للايذاء والتعطيل اكثر من مرة . كما دافعت الجريدة عن مجلس شورى النواب وكانت حربا على الوزيرين الاجنبيين . واشترك في تحرير هذه الصحيفة كل من الافغاني ومحمد عبده ، ونشروا بها مقالات سياسية عبرت عن روح الافغاني وكفاحه من اجل الحرية .

ثم اصدر الصديقان اديب اسحق وسليم النقاش في اواخر عام ١٨٧٧م بمدينة الاسكندرية صحيفتها الثانية وهي :-

التجارة

وقد سارت هذه الاخيرة سيرة الاولى . وكتب فيها الافغاني وتلميذه عبدالله النديم . وضاقت بها الحكومة فهددتها بالتعطيل ثم اغلقتها نهائيا . وكان اديب اسحق يشرح للشعب المصري في صحيفتي مصر والتجارة حقوق الحاكم وحقوق المحكوم ، ويشرح له معاني الوطن والوطنية ويخوض في وصف المذاهب السياسية والاجتماعية كما هي معروفة في البلاد الاوربية . وكل هذه أشياء غريبة على الذهن المصري في ذلك الوقت . وبذلك ارتفعت الصحف المصرية الى مصاف الصحف الاوربية وخاضت في الموضوعات التي تخوضها الاخيرة .

أبو نظارة

أصدرها يعقوب بن صنوع عام ١٨٧٧ ، وهو من تلاميذ السيد جمال الدين الافغاني وابن صنوع هو امام الصحافة الهزلية في مصر ، وقف نفسه على السخرية من اسمعيل كما سخر من اوضاع الحياة المصرية في ايامه ، وسلك لذلك طريقين هما : طريق الصحافة من جهة وطريق المسرح من جهة ثانية . ونجح فيهما نجاحا عظيما . وكان اول ما اصدر من الصحف الهزلية صحيفة اسمها (ابو نظارة) . صور فيها الظلم الذي يعانيه الناس في ايام اسمعيل معتمداً في ذلك على فن المحاورات باللغة العامية حتى يتسلى بها العامة ويعتبر بها الخاصة . كما اخذ ابن صنوع يهاجم في صحيفته هذه جميع الامراء والوزراء والموظفين الاجانب في الحكومة فضلاً عن مهاجمته الخديو اسمعيل .

ونفي ابن صنوع الى باريس سنة ١٨٧٨ وهناك اصدر طائفة من الصحف الهزلية هي في الحقيقة اسماء متعددة لصحيفته (ابو نظارة) . ومن هذه الاسماء على سبيل المثال :ـ

١ـ أبو نظارة زرقاء .

٢ـ النظارات المصرية .

٣ـ أبو صفاره .

٤ـ الحاوي .

٥ـ أبو نظارة .

٦ـ أبو زمارة . ... الخ .

نرى من سيرة هذه الصحف التي اشرنا اليها انها كانت تكافح من أجل الحرية . وان اصحابهـا كانوا يتعرضون من أجـل ذلك للنفي والتعذيب كما كانت هذه الصحف عرضة للتعطيل .

ومعنى ذلك أن ما سمعنا به من تعطيل الصحف وإيذاء الصحفيين ونفيهم أحياناً الى البلاد الاجنبية كان يتمشى مع طبيعة تلك الفترة التي قلنا انها فترة الكفاح من أجل الحرية . وهي الفترة التي تمثل في الوقت نفسه شباب الصحافة المصرية .

* * *

قلنا إن الصحافة الأهلية في دور الشباب نعمت بقدر من الحرية لم تنعم به في تاريخها قبل ذلك وربما لم تنعم بهذا القدر الا بعد صدور

.دستور سنة ١٩٢٣ وهو الدستور الذي تمخضت عنه الثورة الكبرى سنة ١٩١٩ .

وقد تحدثنا عن بعض هذه الصحف ونريد أن نمضي في الحديث .عن بعضها الاخر .

مرآة الشرق

وهي جريدة سياسية علمية أدبية تصدر بالقاهرة يومي السبت .والاربعاء من كل اسبوع وصاحبها رجل سوري اسمه سليم غنحورى وقد ترك امر تحريرها لرجل مصري من تلاميذ السيد جمال الدين الافغاني وهذا الرجل هو ابراهيم اللقاني .

اخذ هذا الصحفي يخوض في وصف الفساد الذي عم البلاد في ذلك الوقت ، كما اخذ يخوض في بحث اسبابه وانتهى الى ان هذا الفساد انما يرجع الى امراء البيت المالك والى جهلهم بواجباتهم نحو .وطنهم والى سوء تدبيرهم واختلال احوالهم ، فهم لا يعرفون شرعا يخضعون له ولا قانونا يشعرون نحوه باحترام ولا يسمعون رأيا ولا يقبلون نصحا ، بل انهم تعدوا الحدود وانتهكوا المحارم وثلموا الاعراض وحاربوا العدل فطغوا وبغوا ونهبوا وسلبوا وفتكوا وهتكوا وشادوا القصور وغرسوا البساتين واقتنوا الحور والولدان .وتأنقوا في المأكل وتفننوا في المشارب وسحبوا مطارف العجب .والخيلاء ... كل ذلك وافراد الرعية على مرأى منهم حفاة عراة ، يتضورون جوعا ويتلظون عطشا ويموتون من البرد) .

مصر القاهرة

في عام ١٨٨٠ أقال الخديو توفيق الوزارة المصرية ذات الميول الوطنية وهي وزارة شريف، واسند الوزارة الجديدة الى رياض باشا، وكان قبول رياض باشا الوزارة اذ ذاك تمهيداً للعودة الى الحكم الاستبدادي، ومن اجل ذلك اشتد [illegible] الحزب الوطني. وفكر هذا الحزب في ارسال اديب اسحق على نفقته الى باريس حيث لاذ بوطنه المصرية وكان قد سبقه اليها جمال الدين الافغاني كما ذكرنا، وكان رياض هو الذي امر بالغاء جرائد اديب اسحق فسافر الى فرنسا والغيظ يحتدم في صدره، وهناك صب جام غضبه على رياض. وفي مصر القاهرة كتب اديب اسحق يصف الخطة التي سيتبعها نحو الحكومة المصرية قال..

(سأكشف حقائق الامور ملتزما جانب التصريح متجافيا عن التعريض والتلميح، واجلو آراء ذوي النقد، وأبين نقائص أهل الحل والعقد، وأوضح معايب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحا (اولي الامر) ومثالب الحكام الذين ندعوهم وهما (امناء الامة) ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلا (ولاة النظام). وقصدي من ذلك ان أثير بقية الحمية الشرقية، وأهيج فضالة الدم العربي، وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين، واحيي الغيرة في قلوب المارقين، ليعلم قومي ان لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه، ومالاً منهوباً فيطلبوه، وليستصغروا الانفس والنفائس في جنب حقوقهم. فمن قتل في سبيل

ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد . ومن عاش بعد اولئك فهو سعيد) .

البرهان

استمرت الصحف الوطنية تنمي التيار التحرري وتزيده كل يوم قوة على قوة . ومضت الحكومة تقاوم هذا التيار بكل ما تملك من اجراءات وسلطات . واغلقت كثيراً من هذه الصحف الوطنية التحررية . فظهرت مكانها بعض النشرات السرية . ثم تحول السخط العام الى حركة ثورية قام بها الضباط في الجيش لاسقاط الحكومة الرجعية . وتألفت وزارة دستورية هي وزارة شريف سنة ١٨٨١ .

في ذلك الوقت كان للتيار التحرري صحفه الوطنية وكان للاجانب في مصر صحفهم الفرنسية والانجليزية . ورأى القصر الملكي كذلك انه ينبغي ان تكون له هو الاخر صحيفة أهلية تدافع عنه ضد الصحف الوطنية . لذلك أصدر القصر صحيفة (البرهان) بمدينة الاسكندرية عام ١٨٨١ . ووكل تحريرها الى الشيخ حمزه فتح الله . فأخذ هذا الرجل يدافع عن العرش دفاعاً قوياً . وكان يعتمد في ذلك على النزعة الدينية . ويحشو مقالاته دائماً بالآيات القرآنية التي تدعو الى طاعة اولي الامر . وفسر ذلك بان الخروج على ولي الامر يعتبر نوعا من الكفر والتمرد .

أما حكومة شريف فقد حاولت في تلك الفترة القلقة من تاريخ الأمة أن تضع حدا لتطرف الصحف كلها بدون استثناء . ووضعت

. لذلك اول قانون للمطبوعات في مصر صدر في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٨١ . غير أن كل هذه الاجراءات التعسفية من جانب وزارة شريف الوطنية لم تؤثر في التيارات الوطنية التي اخذت تزداد مع الايام قوة . وكان من نتيجة ذلك نشوب الثورة السرابية .

في تلك الآونة الحرجة حدث مايؤسف له وهو ان الصحفيين المصريين أساءوا الظن باخوانهم الصحفيين السوريين واتهموهم بمجاراة الخديو وبعض الدول الاستعمارية الضالعة معه . من اجل ذلك غادر كثيرون من السوريين مصر في ذلك الوقت . وعبثا حاول العقلاء في الامة ان يهدئوا من روع المصريين ويخففوا من سخطهم على السوريين ويذكروهم بما ابلاه السوريون من البلاء الحسن في الدفاع عن الاماني القومية . غير انه في اوقات الثورة وغليان الصدور يعزّ على الثوار دائماً أن يردوا انفسهم الى شيء من الاطمئنان الى الصحف التي تتذبذب في سياستها بين الفريقين المتناجزين .

وندع الحديث مؤقتاً عن صحف الثورة لنتحدث الان عن صحيفة من اهم صحف النديم . كانت تمثل شباب الصحافة المصرية وهي صحيفة :

التنكيت والتبكيت

وقد أُصدر النديم العدد الأول من أعدادها في السادس عشر من شهر يونيه (حزيران) سنة ١٨٨١ . وكتبها يومئذ بالعربية الفصحى والعامية ، ليقرأها الخاصة والعامة على السواء . أما السبب في تسمية

هذه الصحيفة بهذا الاسم فهو ان مقال النديم فيها كان ينقسم الى، قسمين ..

أولهما - التنكيت ، بمعنى السخرية من المجتمع المصري في عيب من عيوبه الاجتماعية .

وثانيهما - التبكيت ، بمعنى التوبيخ أو تأنيب المجتمع المصري. على هذا العيب من عيوبه .

ولا شك أن هذه الطريقة من طرق الاصلاح الاجتماعي بحاجة الى براعة ومهارة . وقد توفرت هاتان الصفتان في النديم الصحفي بحيث نظر اليه في التاريخ على أنه صحفي القرن التاسع عشر بلا منازع .

ومن عنوانات المقالات التي كتبت بالعامية في هذه الصحيفة على سبيل المثال عنوان : (هف طلع النهار) وعنوان (خد من عبدالله واتكل على الله) .. الخ .

ومن المقالات التي نشرت بهذه الصحيفة باللغة الفصحى على سبيل المثال ايضا مقال بعنوان: (مجلس طبي على مصاب بالافرنجي) وهو مقال كتبه بالعربية الفصحى كما تقدم ودخل به في صميم المشكلة المصرية التي كان يفكر فيها المصريون اذ ذاك . وهي مسألة الديون التي تورط فيها اسمعيل ، وبسببها وقع التدخل الاجنبي في نهاية الامر .

غير ان النديم كان يعني بلفظ (الافرنجي) داء الزهري وهو من الادواء الخبيثة المعروفة . وكان النديم يكنى بهذا الداء عن الخراب الذي اصاب البلاد نتيجة لاسراف اسمعيل ، وعن وقوع

البلاد فريسة للتدخل الاجنبي وفرض الرقابة الثنائية وغير ذلك .

وعبر النديم بلفظ (مجلس طبي) عن العقلاء في الامة وهم وحدهم القادرون على انقاذ البلاد من الخراب الذي حلّ بها .

وكنى النديم بلفظ (المصاب) عن مصر فصورها في المقال بصورة فتى كان صحيح الجسم قوي الأعصاب جميل الصورة لطيف المعشر . ثم ابتلى هذا الفتى بصاحب له (هو اسمعيل) أحسن الظن به أول الامر وأسلمه نفسه . ولكن صاحبه هذا أودى به الى الهلاك وباعه في الاسواق . فاشتراه من سماسرة السوء من الاوربيين من انزلقوا به في مواطن الشهوات وانغمسوا به في دور الدعارة ففقد صحته ولازمه المرض واصبح ميؤوسا منه ، والقوا به في خربة قذرة . ومرّ به قومه على حين غرة . فعرفوا داءه وفكروا في دوائه وجمعوا له مجلساً طبياً أوقف سريان الداء في مفاصله ، واعاد اليه بعض الصحة . هذه خلاصة المقال الذي كتبه النديم بطريقة رمزية وعبرّ به عن الحالة السيئة التي انتهت اليها البلاد في تلك الفترة .

وهكذا ينظر التاريخ الى الفترة القصيرة مابين سنة ١٨٧٥ـ١٨٨١ على انها تمثل دور الشباب في حياة الصحافة المصرية .

والحق لقد شهدت هذه الفترة التي نشير اليها ميلاد (حرية الصحافة) في مصر . وفيها ـ اي في هذه الفترة ـ عرفت الصحافة مسؤولياتها ، وحددت وظائفها واصبحت اداة قوية للتعبير عن الرأي العام . والى هذه الفترة وحدها قبل غيرها يرجع الفضل في كل

ذلك . في أثنائها بلغ الكيان الشعبي المصري حد النضج . وفي أثنائها وصل الرأي العام المصري الى أقصى درجات النمو . ولو دام للصحافة المصرية هذا الحظ من الحرية لبلغت في مستواها درجة تفوق بها الصحافة الاوروبية ، ولكان في قدرتها أن تكون طليعة العالم كله في كل معاني الدستور والديمقراطية .

ولكن من سوء حظ البلاد انها فشلت في الثورة العرابية وانها بسبب هذا الفشل منيت بالاحتلال البريطاني في سنة ١٨٨٢ ميلادية . فتوقفت نهضتها ، وتبدلت حالتها ، واختنق فيها صوت الحرية . ثم شغلها الكفاح المرير ضد الاحتلال البريطاني عن أن تكون رائدة العالم كله الى معاني الحرية والديمقراطية بجميع الصور التي استحدثها القرن العشرون [١] .

---

(١) راجع الجزء الثاني من ادب المقالة الصحفية في مصر للمؤلف ص ١٤٢ وما بعدها . وبه تجد نماذج من مقالات النديم في صحيفة التنكيت والتبكيت وتحليلا لهذه النماذج .

الفصل السابع

الصحافة المصرية
في عهد الثورة العرابية

مما لا شك فيه أن الثورة العرابية كانت ثمرة من ثمرات الكفاح من أجل الحرية أو كانت طريقا من الطرق التي سلكها المصريون من أجل هذه الغاية .

أسخطت الصحافة المصرية الرأي العام المصري على جميع الأوضاع السياسية والمالية في تلك الحقبة . ومن نشوب هذه الثورة ظهور الحركات الشعبية التي منها على سبيل المثال ..

اولا ـ ظهور جماعة بمدينة الاسكندرية فكرت فيما يسمى بالاستقلال الاقتصادي ، ودعت في عام ١٨٧٩ الى انشاء بنك قومي .

لانقاذ البلاد من استبداد الاجانب . واسم هذه الجماعة (اتحاد الشبيبة المصرية) ورئيسها عمر لطفي محافظ الاسكندرية .

ثانياً ـ ظهور هيئة شعبية اخرى باسم (الجمعية الوطنية) أو الحزب الوطني وذلك عام ١٨٧٨ نعني في وزارة رياض باشا . وكان من اعضاء هذه الجمعية شريف باشا وعمر لطفي وسلطان باشا وغيرهم . وكانت هذه الهيئة في الواقع صدى لظهور المعارضة في داخل مجلس النواب المصري واحتجاج المجلس على مشروع مالي اعدته حكومة رياض لتعلن به انها في حالة افلاس مادي . واذ ذاك رأى المستنيرون في هذا المشروع امتهاناً لكرامة الامة وكرامة النواب وكرامة الحكومة . وفكروا في تسوية مالية يمحون بها عار الافلاس الذي تعلن عنه الحكومة . وكان ذلك بعد ان اجتمعوا بدار السيد البكري نقيب الاشراف . وانتهزوا فرصة اجتماعهم لهذا الغرض وطالبوا بتأليف وزارة وطنية لايشترك فيها الوزيران الاوربيان . كما اشترطوا في هذه الوزارة القومية ان تكون مسؤولة امام مجلس النواب .

ثالثاً ـ انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية بمدينة الاسكندرية عام ١٨٧٨ وذلك بفضل مساعي السيد عبدالله النديم واصدقائه من اغنياء هذه المدينة . وكان الباعث على انشاء هذه الجمعية كذلك شعور الخاصة بطغيان النفوذ الاجنبي في البلاد واستئثاره بمرافقها . فتأسست هذه الجمعية لفتح المدارس الحرة التي تعلم البنين والبنات بالمجان ، ولمكافحة التدخل الاجنبي بكل الطرق الممكنة .

رابعا — ظهور هيئة شعبية بالقاهرة اسمها « جمعية المقاصد الخيرية » كان من اعضائها الشيخ محمد عبده ، وكانت تشتغل بالامور السياسية . واجتمع أعضاء هذه الجمعية وتداولوا في امور كثيرة وكونوا لانفسهم رأيا عاما في كل أمر منها ، وذلك للمجاهرة بهذا الرأي في الوقت المناسب ، وكان آخر اجتماع لهذه الجمعية في السابع عشر من فبراير – شباط – سنة ١٨٨٢ وذلك للتصديق على مشروع القانون الاساسي لمجلس النواب . وخطب محمد عبده خطبة بليغة في هذا الاجتماع .

غير ان الحق ان يقال ايضاً ان كل هذه الجمعيات المتقدمة كانت نتيجة مباشرة لنشاط سري نشأ في مصر قبل ذلك الوقت ، وذلك على شكل جمعيات سرية منها على سبيل المثال جمعيتان ..

١ – الجمعية السرية للضباط

وهي أولى الجمعيات السرية في مصر . ظهرت عام ١٨٦٧ . انضم اليها احمد عرابي زعيم الثورة العرابية وزملاؤه الضباط الذين قاموا بهذه الثورة وقدمت هذه الجمعية عريضة الى اسمعيل مطالبة فيها باصلاحات اقتصادية . منها تخفيف الضرائب عن كاهل الفلاح . ولم يكن من السهل على اسمعيل اذ ذاك ان يستجيب الى هذه المطالب في وقت كان فيه غارقا في ديونه وكان بحاجة ماسة الى هذه الضرائب . واخيرا اعلنت هذه الجمعية السرية عن نفسها في عام ١٨٧٩ وظهرت باسم « الحزب الوطني » وهو غير الحزب الوطني المنسوب الى مصطفى

كامل والذي تم انشاؤه على يد هذا الزعيم في سنة ١٩٠٧ .

٢ — جمعية مصر الفتاة

وهي من الجمعيات السرية التي نشأت في مدينة الاسكندرية عام ١٨٧٥ . وكان قوامها الشبان المثقفون في الامة من غير ضباط الجيش ، وكان من اعضائها عبدالله النديم واديب اسحق وسليم النقاش .

ثم بتأثير النديم تغير اسم هذه الجمعية السرية واعلنت عن نفسها باسم الجمعية الخيرية الاسلامية .

* * *

من أجل ذلك كله لم يكن غريبا ان تقوم الثورة العرابية ، بعد إذ تهيأت الاذهان لما في حكم اسمعيل ، وبعد ان زاد تذمر الضباط المصريون من اسناد الوظائف العليا في الجيش الى الاتراك الشراكسة ومن حرمان المصريين من هذه المناصب حرمانا تاما ، فقام احمد عرابي بثورته وطالب الخديو توفيق بدستور يفي بحاجة البلاد اذ ذاك .

وهنا نجد الثورة العرابية تقضي على اكثر الصحف السورية في مصر .. وكأنما داخلها الشك في اخلاص تلك الصحف للحركة الثورية لذلك الوقت . وانشأت الثورة صحفا مصرية جديدة .. منها صحيفة (الطائف) للسيد عبدالله النديم .. ومنها صحيفة (المفيد) لحسن الشمسي . وكلتاهما تصدران بالقاهرة . ولكننا نلاحظ انه بينما كانت هذه الصحف التي تصدر بالقاهرة لا تألو جهدا في مناصرة

الثورة إذ بنا نجد صحف الاسكندرية تناهض هذه الثورة . ولا غرابة في ذلك فقد كان توفيق حينذاك يقيم في الاسكندرية ويعتصم بالاسطول البريطاني فيها !

وعلى ذلك فقد اعتمدت الثورة العرابية في الواقع على صحيفتين . فقط ، هما (الطائف) و (المفيد) .

وبالرغم من أن صحيفة (المفيد) كانت في نظرنا أنفع للثورة . العرابية من صحيفة النديم . فإننا سنقصر الحديث هنا على الصحيفة الاخيرة ، وهي صحيفة (الطائف) . وذلك مع اعترافنا (للمفيد) بأنها أفادت الثورة في موقفين هامين هما :

أولا ـ انها كانت تنقل الاخبار الصادقة عن الحرب بين عرابي والانجليز وذلك على خلاف ما فعله النديم كما سنوضح ذلك بعد .

ثانيا ـ انها نقدت فكرة الثورة العرابية على الصحفيين السوريين . ودافعت عنهم ، وذكرت المصريين بالخدمات الجليلة التي أدتها الصحف السورية للنهضة المصرية .

صحيفة الطائف

نحن نعلم ان النديم كان عنصرا هاما من عناصر الثورة العرابية وكان خطيبها الاوحد وكان في الوقت نفسه صاحب الجريدة التي تعبر عن آرائها وافكارها . وهذه الجريدة هي الطائف . وهي في حقيقة امرها جريدة التنكيت والتبكيت بعد ان اقترح احمد عرابي تغيير اسمها الى (الطائف) .

وتقوم سياسة الطائف على الامور التالية :ـ

١ـ مواصلة الكتابة عن تاريخ اسمعيل والنقمة عليه وعلى توفيق من اجل اهتمامه بالدول الاجنبية واعتماده عليها .

٢ـ شرح حالة الفلاح المصرى وما انتهى اليه من البؤس والعوز، ودعوة الحكومة الى العناية به من جميع النواحي .

٣ـ الاصلاح النيابي، وقد استأثر بجانب عظيم من مجهود النديم في صحيفة الطائف . وكان من رأي هذه الصحيفة ان الاصلاح السياسي في مصر لا يقوم الا على الاصلاح النيابي .

٤ـ الدفاع عن الثورة العرابية والوقوف الى جانب عرابي ضد الانجليز .

ووقعت الواقعة وانتقل النديم بجريدة الطائف الى ميدان القتال ، واخذ يكتب المقالات المهيجة للخواطر والمثيرة . وكان النديم يخلع على عرابي في ذلك الوقت اسم (حامي حمى الديار المصرية) .

خطأ النديم او فشله في ان يكون مراسلا حربيا للطائف

وقع النديم الصحفي والخطيب في خطأ اعلامي كبير في الحرب التي قامت بين عرابي والانجليز . وهي الحرب التي انتهت بالاحتلال البريطاني . ذلك ان النديم ـ طمعا في رفع الروح المعنوية للمحاربين المصريين والمواطنين المصريين ـ اخذ يهول في وصف المعارك التي وقعت بين عرابي والانجليز . وطفق يبالغ في وصف العتاد الحربي

الذي يملكه الجيش المصري في ذلك الحين . كما اخذ يزيف في وصف الهزائم التي اوقعها المصريون بالانجليز . وركب متن الشطط في وصف شجاعة العربان الذين التحقوا بجيش عرابي . ولم يلتزم النديم جانب الصدق في جميع ما اورده من اخبار هذه الحرب .

على ان هذا الخطأ الاعلامي الذي وقع فيه النديم اصلح منه زميله حسن الشمسي في جريدة المفيد . فاستعاض عن هذه المبالغات التي اكثر منها النديم بخطة اخرى تقوم على مجرد اثارة العداوة والبغضاء في قلوب المصريين ضد الانجليز . كما تقوم على تخويف المصريين من مصير كمصير الهنود والايرلنديين الذين غلب الانجليز على امرهم واضاعوا استقلالهم واستغلوا ثرواتهم . ولم يكذب حسن الشمسي ولم يحرف النشرات الحربية التي صدرت عن كل من عرابي وجيش الاحتلال البريطاني .

ثم ان النديم كان يصدر ملحقاً للطائف وكان يبيح لنفسه في هذا الملحق الصحفي من حرية النقد والمبالغة في التجريح أو الذم فوق ما ينبغي له .

(ومن ذلك انه انزلق الى توجيه السب والقذف الى الصحفيين السوريين . واحدث بهذا النقد فتنة كبري كان من نتائجها ان ترك الصحفيون السوريون مصر في تلك الفترة الحرجة من حياتهم وعادوا الى بلادهم حتى تخمد نار الثورة العرابية .)

وهكذا فشل النديم في جريدة الطائف فشلاً ذريعاً في مجال

الدعاية للحرب بمقدار ما نجح في صحيفة التنكيت والتبكيت من حيث الاصلاح الاجتماعي .

وذلك ان الداعية للحرب غير الداعية للاصلاح الاجتماعي ، فالاول لاينبغي له مطلقاً ان يخرق في حديثه أو يخلق احداثا لم تكن، أو يصف شيئا لم يقع ، بل يجب عليه دائما ان يذكر الحقائق كما هي وله بعد ذلك ان يعلق عليها كما يشاء وان يرفع من الروح المعنوية للشعب كما يشاء .

ولو صدق النديم في اقواله عن الحرب التي دارت بين عرابي والانجليز لكان النصر في النهاية للمصريين على الانجليز ولكن الذي حدث هو العكس ، فكيف اباح النديم لنفسه كل هذا الزيف ؟.

ان فكرة الدعاية للحرب كانت تحتاج من هذا الصحفي الكبير الى كثير من الدرس [1] .

---

(١) لمن اراد التوسع في هذا الموضوع (الصحافة المصرية والثورة العرابية) ان يرجع الى الجزء الثاني من كتاب (ادب المقالة الصحفية) للمؤلف ص ١٥٦-٧ ١ ط ٣.

الفصل الثامن

الصحافة المصرية في دور الكفاح ضد الاحتلال البريطاني

١٨٨٢ — ١٩١٩

كلمة تمهيدية

منذ ان حلت بالبلاد المصرية كارثة الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ صدر امر ناظر الداخليــة في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) من نفس السنة بالغاء جرائد الزمان ، والسفير ، والطائف ، والمفيد ، والنجاح ، وقبض على حسن الشمسي ونفي محمد عبده من البلاد واختفى النديم نحوا من عشر سنوات ، وهكذا وضع المحتلون البــلاد في ذهول كبير واخرسوا السنة الثورة العرابيـة وكتموا انفاسها ، واستمال

الاحتلال اليه بعد ذلك بعض الصحف السورية مثل صحيفة الاهرام وصحيفة المحروسة (لسليم النقاش) وبعض الصحف الوطنية مثل جريدة الوطن (لميخائيل عبد السيد) .

وظلت الصحافة المصرية في يأسها وقنوطها مدة لا تقل عن عشر سنوات افاقت بعدها من هذه الحالة وعادت الى كفاحها المرير ضد المحتل . والحق انه وان كان الاحتلال البريطاني كارثة على البلاد فان له مع ذلك فضلا كبيرا على الحركة الوطنية المصرية ، وذلك ان الاحتلال هو الذي بعث في المصريين ميلا قويا الى المقاومة بكل الطرق الممكنة .

جاء الاحتلال وبنى سياسته على اذلال المصريين وابقائهم في قبضته اطول مدة ممكنة وسلك في سبيل ذلك هذه الطرق .

١ — التعليم

فقد ابى الانجليز الا ان يقنع المصريين بقدر ضئيل من التعليم لا يتجاوز المرحلة الاولى فقط من مراحله ولذلك شجع الاحتلال على نشر الكتاتيب ، واوهم المصريين انهم لايصلحون لدرجة اعلى من درجات التعليم .

٢ — الحط من الدين الاسلامي واتهام المصريين بالتعصب الديني

زعم الاحتلال ان الدين الاسلامي دين عتيق لا يصلح الا للعرب الذين اقاموا في الصحراء منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا . ونصح

المصريين بان لا يظلوا متمسكين بهذا الدين الذي هو السبب في تخلفهم عن الحضارة . كذا !

٣ — التضييق على الحكام الشرعيين

ومنهم عباس حلمي الثاني الذي تولى الحكم في سنة ١٨٩٢، وكان عباس هذا قد اظهر الميل في اول الامر للحركة الوطنية ، غير ان الانجليز ما لبثوا ان قلموا اظافره واضعفوا من قوته واضطروه الى اعلان استسلامه في النهاية .

٤ — الاستهانة بالوطنية المصرية

وقد بلغ الانجليز في ذلك حدا طالبوا فيه بالغاء الجنسية المصرية ذاتها بحيث تصبح مصر وطنا دوليا لكل من مرّ به من الاجانب ولو لمدة قصيرة ولمصلحة عابرة .

ولم يكتف كرومر بذلك بل شرّع لمصر ما سماه (بالمجلس التشريعي) الذي يضم ممثلين عن البلاد اكثرهم من اولئك الاجانب الذين يدخلون هذا المجلس بطريق التعيين لا بطريق الانتخاب .

* * *

عاش المصريون هذه السنوات العشر فكانت من احلك السنوات في تاريخهم ، وفكروا طويلا في الامر فاهتدوا الى سياسة جديدة هي ...

سياسة اعداد الامة المصرية وتزويدها بادوات الاستقلال

ولكن ما هي ادوات الاستقلال ؟ ان ادوات الاستقلال اذ

ذلك فيما لو عزّ المدفع وغيره من ادوات القتال هي العلم والثقة بالنفس والايمان بالشخصية المصرية وهي المؤدية وحدها الى تحقيق الامل الذي يصبو اليه كل مصري وهو الخلاص من الاحتلال البريطاني . ولكن ما السبيل الى ذلك ؟

فكر المصريون جديا في الامر فلم يجدوا امامهم من سبيل غير الصحافة .

لكن ماذا تستطيع الصحافة أن تفعل ؟

الصحافة هي التي تستطيع ان تدافع عن المصريين من الناحية السياسية وتستطيع ان تقف وراء الحكام الشرعيين الذين كانوا موضع اذلال القوة الاستعمارية ، والصحافة هي التي تستطيع ان تدافع عن مصر من الناحية التعليمية فتكشف عن خدعة الاحتلال في الاكتفاء بنشر الكتاتيب ، وتروج لفكرة انشاء الجامعة المصرية ، والصحافة هي التي تستطيع ان تذود عن المصريين من الناحية الدينية فتنفي عنهم تهمة التعصب الديني اولا ثم تشرح للعالم المتحضر بعد ذلك شيئا من مبادىء الدين الاسلامي ، بما يثبت لهذا العالم انه دين يقدس الحرية ، ويحض على العلم ، ويدعو الى الشورى ، ويحترم حقوق الانسان ، ويؤمن بقدر من الاشتراكية ينفع الناس في حياتهم التي يحيونها في كل زمان ومكان .

والصحافة ايضا هي التي تستطيع ان تصلح ما فسد من

(الناحية الخلقية) فتقضي على الشعور بالذل وتقتل الشعور بالضعف والاستكانة امام المحتل ، وتحارب عبادة البسالة - على حد قول الاستاذ احمد لطفي السيد - بمعنى انها تقاوم في المصريين اسرافهم في تقدير البطولة وتغرس فيهم الشعور بالكرامة ، وبهذه الطرق تستطيع الصحافة تزويد المصريين بادوات الاستقلال .

وقد فعلت الصحافة كل ذلك ، ولاحظ التاريخ المصري الحديث الى جانب ذلك ان الزعامة والصحافة في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي كانتا شيئا واحدا .

فالسيد علي يوسف كان صاحب جريدة المؤيد ، وهو في الوقت نفسه رئيس حزب الاصلاح السائر على المبادىء الدستورية .

ومصطفى كامل كان محررا لصحيفة تسمى (بالجريدة) وكان في الوقت نفسه زعيما من زعماء حزب الامة .

وكل هذه الاحزاب كانت قد تألفت في مصر بين عامي ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ .

وتولى كل واحد من هؤلاء الزعماء قيادة الوطن في ميدان من الميادين التي اشرنا اليها .

ففي ميدان الاخلاق المؤدية الى الاستقلال وقف احمد لطفي السيد . وفي ميدان الدفاع عن الحكم المصري وعن الدين الاسلامي وعن الكفاءة المصرية وهي الامور التي طعن فيها الاحتلال وقف السيد علي يوسف .

وفي ميدان الحركة الوطنية وقف مصطفى كامل ، وهكذا . واشترك الزعماء والقادة جميعا في ميدان واحد هو ميدان المقاومة الشديدة للاحتلال البريطاني . وهذه الحقائق كلها هي التي جعلت المؤرخ الحديث ينظر الى تلك الفترة من فترات الكفاح ضد الاحتلال البريطاني على انها طور من اطوار النهضة المصرية اطلقوا عليه بالفعل هذا الاسم وهو ـ الطور الصحافي من اطوار الحركة الوطنية ـ .

ووافق على هذه التسمية كل من الاستاذ جورج ينج في كتابه (مصر) والاستاذ تشارلز آدمز في كتابه (الاسلام والتجديد) .

من اجل ذلك كله كثر حديث الصحف المصرية في تلك الفترة عن الموضوعات الاتية :

١ـ التعصب الديني .

٢ـ الكفاءة المصرية .

٣ـ الشخصية المصرية .

٤ـ التعليم والجامعة المصرية .

٥ـ الاستقلال وتزويد الامة بادواته .

٦ـ الدستور والمجالس النيابية التي ابتدعها الانجليز بعد ان قضوا على المجلس النيابي الذي ولدته الثورة العرابية .

تلك هي المجالات التي سبحت فيها الصحافة المصرية في فترة الكفاح ضد الاحتلال البريطاني ، ولذلك ظهر على مسرح الحياة

المصرية لتلك الفترة عدد كبير من الصحف التي قاومت الاحتلال في كل ناحية من النواحي المتقدمة .

ولسهولة الفهم سنحاول ان نقسم دور الكفاح ضد الاحتلال البريطاني الى فترات ..

الفترة الاولى ــ من ١٨٨٢ ــ ١٨٨٩ .

الفترة الثانية ــ من ١٨٨٩ ــ ١٩١٤ .

الفترة الثالثة ــ من ١٩١٤ ــ ١٩١٩ .

الفصل التاسع

الصحافة المصرية في الفترة الأولى من فترات الاحتلال

١٨٨٢ – ١٨٨٩

فشلت الثورة العرابية ، واستتب الأمر للاحتلال الانجليزي في مصر ، فوضع لورد دوفرين نظاما جديداً للبلاد يتفق ومصالح الاحتلال ، ونص في هذا النظام على حرية الصحافة ، واتى اللورد كرومر فرأى في هذه الحرية مصلحة تعود عليه لان الصحافة متى كان لها قسط من الحرية فانها تساعده على معرفة الحالة التي عليها البلاد المصرية .

غير أن هذه الفترة الأولى من فترات الاحتلال كانت مقرونة

بحالة الذهول التام الذي شعر به المصريون عقب هذه الكارثة ، وقد بدأ الاحتلال عمله في مصر بالغاء عدد كبير من الصحف منها صحف.. الفلاح ، والزمان، والسفير ، ومرآة الشرق، والصادق ،. وقد كانت الاخيرتان من الصحف تعبيرا عن لسان الباب العالي ، وكان ينفق عليهما مختار باشا الغازي سفير تركيا في مصر في ذلك الوقت . وكان الاحتلال مهددا من قبل الجهات الثلاث الاتية ..

١ـ البــاب العالي وقد كانت تدافع عنه كل من جريدة مرآة الشرق التي كان يحررها ابراهيم اللقاني ، وجريدة الصادق التي صدرت عام ١٨٩٨ باللغتين العربية والتركية .

٢ـ التيارات الاجنبية ومن اهمها التيار الفرنسي وقد كانت لفرنسا صحف فرنسية كصحيفة لبوسفور اجبسيان وصحف عربية كصحيفة الاهرام التي كانت تميل الى هذا التيار الفرنسي الى ذلك الوقت .

٣ـ التيــارات الوطنيــة ، وكانت لها جــرائد كثيرة وهي الجرائد التي الغاها الاحتلال بالاضافة الى جريدة الوقائع المصرية التي بقيت مجرد جريدة رسمية لا دخل لها بالتيارات الوطنية .

أما الانجلــيز وزعيمهم ـ كرومر ـ فقد رأوا ان تكون لهــم بعض الصحف الوطنيــة ، وتحقق لهم ذلك عن طــريق صحيفتين احداهما شهرية وهي صحيفة المقتطف ليعقوب صروف وفارس نمر

وهما سوريان كانا قد اصدرا هذه الصحيفة في بيروت عام ١٨٧٦ ، ثم انتقلا بها الى القاهرة عام ١٨٨٥ ، والاخرى يومية وهي صحيفة المقطم اصدرها هذان السوريان ايضاً بالاشتراك مع ثالث اسمه شاهين مكاريوس عام ١٨٨٨ .

وكانت وهناك جريدة وطنية مالأت الاحتلال منذ ثبت اقدامه في مصر ، وهي جريدة الوطن لميخائيل عبدالسيد ، ومع ذلك فقد تعرضت للتعطيل والالغاء بالرغم من انها احسنت استقبال الحكم البريطاني .

في ذلك الوقت نفى اكثر الزعماء المصريين عن بلادهم ، وكان من هؤلاء الزعماء الشيخ محمد عبده الذي نفي الى باريس ، وهناك التقى باستاذه السيد جمال الدين الافغاني واشترك الرجلان معا في اصدار ..

صحيفة العروة الوثقى ١٨٨٤

وهي الصحيفة الوحيدة التي كانت تعبر عن التيار الوطني في تلك الفترة وقد تم لها ذلك في مدينة النور والحرية بعيدا عن رقابة السلطات الانجليزية ، ومع ذلك فقد حالت هذه السلطات دون وصول الصحيفة الى الديار المصرية فلم تكن تصل الى بعض المصريين الا بالطرق السرية .

وقد كان برنامج العروة الوثقى يتألف من المواد التالية ..

اولا ــ افهام الشرقيين واجباتهم التي كان التفريط فيها موجبا لسقوطهم وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فاتهم .

(٧)

ثانيا — افهامهم كذلك ان الامل في النجاح قريب ، اذ لاحاجة في الوصول الى نقطة الخلاص المرغوبة الى قطع دائرة عظيمة تصورها يوجب فتور الهمم و انحطاط العزائم .

ثالثا — دعوة المسلمين كافة الى التمسك بالاصول التي كان عليها آباؤهم و اسلافهم ، فلا يصلح آخر الأمر الا بما صلح به اوله ، و المثل الاعلى للمسلمين في نظر الجريدة هو ما كان عليه الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين قبل ان يدخل عليهم الفساد من ابواب اخرى .

رابعا — ابطال الزعم بان المسلمين لا يتقدمون في مضمار المدنية الحاضرة ما داموا متمسكين بدينهم ، لان دينهم في نظر من لايفهمونه من الاوربيين يدعو الى التواكل .

خامسا — تقوية الروابط والصلات بين الامم الشرقية وتمكين الالفة بين افرادها وتأييد المنافع المشتركة فيهم .

سادسا — وصل الشرقيين بما يهمهم من الاخبار العامة والاخبار الخاصة وبسياسة الدول الاجنبية تجاه البلاد الشرقية .

اشترك الزعيمان جمال الدين ومحمد عبده في اصدار هذه الصحيفة وانتقلا من دائرة ضيقة كانا يعملان فيها لاصلاح مصر دينيا و اجتماعيا الى دائرة اوسع هي الدائرة التي اصبح الزعيمان يعملان فيها لصلاح المسلمين كافة والبلاد العربية عامة ، وكان الزعيمان يعتقدان اعتقادا جازما ان اصلاح العرب والشرق لا يكون الا عن طريق الدين ، وعندهما الا حياة للمسلمين الا في دينهم وان فكرة الجامعة الاسلامية

يجب ان تقوم مقام الروابط الاخرى ومتى فهم المسلمون دينهم على الوجه الصحيح وصلوا الى المرتبة اللائقة بهم بين الامم ، ودعا الزعيمان في هذه الصحيفة الى اخذ المسلمين بالعلوم الحديثة التي توصل بها الاوربيون الى اختراع آلات القتال ؟ وعليهم - اي على المسلمين - ان يحاربوا الاحتلال اينما كان وعلى اية صورة من صوره .

وعلم الاحتلال بامر هذه الصحيفة وقدر الخطورة التي لها ولمحرريها في تلك الفترة ، فعمل على الحيلولة دون دخولها الى مصر ، وما زال بهذه الصحيفة حتى تعطلت عن الصدور بعد ثمانية اعداد فقط من اعدادها . واختفت في اكتوبر (تشرين الاول) من نفس السنة .

وباختفاء هذه الصحيفة اختفى كل صوت للوطنية المصرية في الفترة الاولى من فترات الاحتلال .

غير ان الحال لم يدم على ذلك الا ريثما بدأت الفترة الثانية من فترات الاحتلال كما سيتضح ذلك في الفصل الاتي ..

الفصل العاشر

الصحافة المصرية في الفترة الثانية من فترات الاحتلال

١٨٨٩ ــ ١٩١٤

وقد شهدت هذه الفترة الصحف التالية ..

١ـ المؤيد ، للسيد علي يوسف سنة ١٨٨٩ .

٢ـ الاستاذ ، للسيد عبدالله النديم سنة ١٨٩٢ .

٣ـ المنار ، للسيد رشيد رضا سنة ١٨٩٨ .

٤ـ اللواء ، للزعيم الشاب مصطفى كامل سنة ١٩٠٠ .

٥ـ الجريدة ، لمحررها احمد لطفي السيد سنة ١٩٠٧ .

٦ـ العلم ، وهي لسان الحزب الوطني سنة ١٩١٠ .

٧ـ الشعب ، لمحررها امين الرافعي وهي من صحف الحزب الوطني كذلك سنة ١٩١٣

المؤيد

وصاحبها السيد علي يوسف ، وهو شاب ازهري الثقافة قال عنه تشارلز آدمز انه (كان صحفيا ماهرا وله دهاء ومكر احيانا ، وقد رفع المؤيد الى مكان الصدارة في العالم العربي ، فاحاطه الخديو عباس برعاية . . . وقد وجه السيد علي يوسف سياسة المؤيد وجهة خاصة ، فجعله بوقا للرأي المحافظ ، وكان في نظر خصومه على الاقل يهيج كوامن التعصب الديني) .

والحق لقد كان المؤيد اوسع الجرائد العربية انتشاراً حتى اطلق عليه (تايمس الشرق) واما سياسة المؤيد فقامت على مايلي :

اولا ــ الدفاع عن الخديو عباس حلمي الثاني لانه كان هدف الاحتلال البريطاني الذي اراد ان يحطمه ويحطم به الحركة الوطنية ، وقد كانت هذه الحركة متعلقة به اول الامر .

ثانيا ــ الحملة ضد الاحتلال البريطاني في شيء من الهدوء حتى لا يضطر الاحتلال الى تعطيل المؤيد ، وحتى تؤثر الحملة الصحفية في خطة الاحتلال نفسه .

ثالثا ــ الدفاع عن الدين الاسلامي الذي كان غرضا للانكليز

منذ رموه بكل التهم الباطلة واسرفوا في التشنيع عليه ، وزعموا انه السبب في تأخر المسلمين عن ركب الحضارة الحديثة .

رابعا ــ الاشتداد في نقد الاجانب الموجودين في شتى النظارات الحكومية ووصفهم بالجهل المطبق بعادات البلاد وتقاليدها وبانهم بذلك لا يصلحون للاشتراك في حكمها بصورة من الصور .

خامسا ــ الدفاع عن (الكفاءة المصرية) وبيان قدرتها التامة على تولي الحكم والسيطرة على جميع مرافق البلاد بجدارة تامة .

سادسا ــ الدعوة الى الشورى وتأليف مجالس نيابية شبيهة بالمجالس الاوربية يكون لها حق نظر الميزانية ومحاسبة الوزراء ، وقد استند علي يوسف في ذلك بالحقيقة القائلة بان الاسلام عرف الشورى منذ اكثر من الف سنة .

ومضى المؤيد في تحقيق اهدافه بنجاح تام وكان له مراسلون في اكثر البلاد الاسلامية والبلاد الاوربية ، وصدر له ملحقان احدهما فرنسي والاخر انجليزي كانا يشتملان على ترجمة لاحسن المقالات التي ينشرها المؤيد العربي ، وكان صاحب المؤيد ـ وهو السيد علي يوسف ـ رجلا نصفه للامير ونصفه للجماهير ، وقد ظهرت جريدته في وقت كان فيه الميدان الصحفي يوشك ان يخلو من الجرائد الوطنية خلوا تاما ، ولذلك نظر الشعب الى هذه الجريدة على انها ملأت هذا الفراغ الحادث ، كما نظر الاحتلال بعين الحقد على السيد علي يوسف .

وما زال به حتى قدمه للمحاكمة في قضية مشهورة في تاريخ الصحافة المصرية باسم (قضية التلغرافات) وذلك في شهر مايو (مايس) سنة ١٨٩٦ . [1]

وفي يوم النطق بالحكم في هذه القضية احتشدت الجماهير في ساحة المحكمة حتى لم يكن فيها موضع لقدم، وصدر الحكم ببراءة علي يوسف فتعالت اصوات الجميع بالهتاف له وهنأ بعضهم بعضا بهذا الحكم وحملوا صاحب المؤيد على الاعناق وكان يوما مشهودا في تاريخ مصر .

الاستاذ

اختفى النديم خطيب الثورة العرابية مدة لا تقل عن عشر سنوات ، ثم ظهر في منتصف عام ١٨٩٢ على اثر العفو الذي صدر عنه من الخديو عباس حلمي الثاني فعاد الى كفاحه القديم واصدر صحيفة باسم شقيقه سماها « الاستاذ » وسياستها ذات اهداف منها ..

اولا ـ الاصلاح الاجتماعي .

ثانيا ـ اصلاح التربية والتعليم .

ثالثا ـ الدفاع عن الشرق ضد اوهام الغرب .

رابعا ـ مهاجمة الاحتلال البريطاني دفاعا عن الخديو عباس الثاني

---

(١) لمن اراد الوقوف على تفاصيل هذه القضية ان يرجع الى الجزء الرابع من كتاب (ادب المقالة الصحفية في مصر) للمؤلف ، وكتاب (الصحافة المصرية في مائة عام) للمؤلف ايضا . ص ٧٨ .

خامسا ـ الحملة على المبشرين المسيحيين .

سادسا ـ الدفاع عن اللغة العربيـة باعتبار انهـا اللغة القومية والدعوة الى تدريس المـواد كلها بالمدارس باللغة العربيـة والدعوة كذلك الى معاملة مدرسي هذه اللغة بنفس السخاء الذي يعامل به مدرسو المواد الاخرى .

ـ واتبـع النـديم في تحرير الاستاذ نفس الطريقة التي اتبعها في « التنكيت والتبكيت » اي انه حـررها على مستويات ثلاثـة ، فمقالات للخاصة باسلوب رفيـع في موضوعات علمية ووطنية من نوع مقالات « العروة الوثقى » ومقالات للعامة باللغة التي يفهمونها وهي العامية شبيهة بما كان ينشـر في « التنكيت والتبكيت » ومقالات كتبت باسلوب بسيط لا هو بالرفيع المتعالي في الاسلوب ولا هو بالهابط الى درجة العامة ، ولكنه وسط بين هاتين الدرجتين ليقرأه انصاف المتعلمين ويتثقفوا به .

اما الهجوم على الاحتلال في صحيفة الاستاذفقد اخذ فيه النديم جانب الرفق في اول الامر ثم اخذت لهجته تشتد بعـد ذلك شيئا فشيئا ، وهنا وقف النديم وجها لوجه امام صحف الاحتلال ومنها المقطمفاستعدت عليههذه الصحيفة السلطات البريطانيـة ، اماالصحف الوطنية فانها وقفت تؤيده وتسانده . وهكذا استطاع النديم عن طريق صحيفة الاستاذ ان يشعل نار الوطنية المصرية من جديد وتأثر به الشباب المصري فخرج في مظاهرات كبيرة وعلى رأسها مصطفى

كامل ، وهاجم الشباب في هذه المظاهرات صحيفة المقطم فاضطـر الاحتلال الى تعطيل صحيفة الاستاذ والى الحكم بالنفي ثانيـة على النديم وختمت الاستاذ حياتها ولم يصدر منها اكثر من اثنين واربعين عددا فقط .

وخلا الميدان تقريبا الا من صحيفة المؤيد وصحيفة مصر التي اصدرها رجـل من اقباط مصر اسمه تادرس شنوده سـنة ١٨٩٥ وصحيفة الاهرام التي اخذت تساير التيار الوطني وتهاجم الاحتلال وتظهر الميل في نفس الوقت لفرنسا ، كما اخذت تفتح صدرها لمقالات مصطفى كامل ومن على شاكلته من الوطنيين المتحمسين .

الصحافة المصرية والاحزاب السياسية

في الفترة الثانية من فترات الاحتلال وهي الواقعة بين ١٨٨٩ـ ١٩١٤ كما تقدم حدثت احداث جسيمة زادت من قوة الصحافة الوطنية بالرغم من زيادة النفوذ البريطاني ومن قسوته في معاملة الصحافة . وفي ذلك الوقت شعر الوطنيون المصريون بالحاجة الى صحيفة جديدة لا تلتزم اللين في مكافحة الاحـتلال البريطاني كما تفعل المؤيد ولا تتذبذب في سياستها كما تفعل الاهرام ، بل تكون صريحة عنيفة في مجابهة الانجليز ولذلك صدرت صحيفة :

اللـواء

وذلك في اليوم الثاني من شهر يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٠

وكان يحررها زعيم الحركة الوطنية اذ ذاك وهو مصطفى كامل ، وقد جمع لهذه الصحيفة مال كثير وكان الاعداد لها كبيرا كذلك من حيث الادارة والتحرير ولم تكن الوطنيـة المصرية الى ذلك الوقت قد خلصت تماما من التبعية الروحية لخليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية ، ومن هنا كان مصطفى كامل يدافع عن الخلافـة لغرضين :

اولهما ـ مسايرة الروح العام المصري في تلك الفترة .

ثانيهما ـ الاستعانة بالباب العالي ضد المحتل .

واما برنامج الصحيفة فقد كان مؤلفا مما يلي :

اولا ـ الدفاع عن الدين الاسلامي ضد هجمات الاستعمار كما فعلت جريدة المؤيد .

ثانيا ـ الدفاع عن فكرة الجامعة الاسلامية باعتبارها الطريق الوحيد للتخلص من الانجليز .

ثالثا ـ تنشيط الحركة الوطنية بكل الوسائل الممكنة والدعوة لها في داخل القطر وخارجه .

رابعا ـ العناية التامة بالاصلاح الاجتماعي ، وان كانت اللواء لم تؤيد الحركة التي قام بها قاسم امين لتحرير المرأة ، على حين ان المؤيد ساندتها .

خامسا ـ تخليص المصريين من اليأس الذي ملأ نفوسهم بازدياد

النفوذ البريطاني ولا سيا بعد حادث (فاشوره) وهو الحادث الذي اصبحت به بريطانيا شريكة لمصر في حكم السودان .

اللواء بعد الاتفاق الودي سنة ١٩٠٤

نعرف ان اللواء في اول عهدها كانت تميل الى فرنسا ، وكانت فرنسا هي الاخرى تتقرب الى مصطفى كامل لان في هذا التقرب تعويضا لها عن الهزيمة التي لحقتها في معركة احتلال مصر ، فلجأت الى تعويض الهزيمة بتأييد الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل .

غير انه بتوقيع الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٤ وهو الاتفاق الذي تركت فيه فرنسا كل الحرية للانكليز في مصر ، كما تركت فيه انجلتره كل الحرية للفرنسيين في الجزائر ـ تغير موقف اللواء ويئست من صداقة فرنسا .

وقد كان هذا الاتفـاق صدمة شديدة للصحافة الشرقية ، فازدادت به جريدة المؤيد لينا فوق لين في مناهضة الانجليز ، وامعنت به الاهرام في سياسة السلبية ، اما اللواء فان هذه الصدمة زادتها قوة على قوة ، وبذلك زادت اللواء شعبية واصبحت اولى الصحف الوطنية ، ودعت المصريين الى عدم الاعتماد على اية دولة اوربية والى عدم الاعتماد حتى على الاسرة المالكة ، بل يجب ان يعتمد المصريون على انفسهم فقط في تحقيق الاماني الوطنية . ومضت اللواء في كفاحها ضد الاحتلال البريطاني حتى حدثت حادثة (دنشواي) المشهورة

في التاريخ المصري وهي حادثة بسيطة في ذاتها ، فقد خرج ضابط انجليزي مع رفقائه لصيد الحمام في قرية دنشواي هذه فاصطدم فيها بالفلاحين الذين طاردوه وهددوه ففر منهم وكان الحر شديدا فمات في الطريق ، غير ان كرومر اتخذ من هذه الحادثة الفردية البحتة اساسا لطائفة من التهم العريضة التي رمى بها المصريين بالتوحش والتعصب الديني الى الحد الذي يخشى منه على حياة الاجانب المقيمين في مصر .

اما الزعيم الشاب مصطفى كامل فقد خلق من هذه الحادثة فضيحة كبرى لانجلترا ، فكتب مقاله المشهور في حزيران (يونيه) سنة ١٩٠٦ بعنوان .. (الى الامة الانجليزية والعالم المتمدن) .او غر به صدر الشعب الانجليزي وحكومته على كرومر وتصرفه الشاذ في محاكمة المتهمين في هذه القضية وقال :

(ان الصحف الموالية للاحتلال اعلنت قبل المحاكمة ان العقوبات ستكون هائلة ، فلم تكن العدالة اذن هي المنشودة من المحاكمة ، بل كان الانتقام هو المنشود منها) .

وهكذا تم لصاحب اللواء اكبر انتصار على كرومر عميد الاحتلال في مصر لان هذه المأساة انتهت بعزله عن العمادة .

وشيئا فشيئا تخلت اللواء عن فكرة الاعتماد على الباب العالي او الجامعة الاسلامية ، كما تخلت عن فكرة الاعتماد على فرنسا ، كذلك تخلت عن فكرة الاعتماد على صاحب العرش ، واعدت المصريين لتقبل فكرة واحدة يجب الا يتعلقوا بغيرها وهي فكرة (مصر

للمصريين) أو فكرة اعتماد المصريين على انفسهم فقط في الحصول على الحرية والاستقلال .

غير ان الاجل المحتوم عجل بهذا الزعيم فمات في عام ١٩٠٨ وتبلور الاتجاه السياسي في صحيفة اخرى وهي :

الجريدة

في العام الاخير من عهد كرومر حدثت ظاهرة غريبة في تاريخ الصحافة المصرية ، وهذه الظاهرة هي نشأة الاحزاب السياسية في داخل الصحف الوطنية ، والمعروف في تاريخ الدول دائما ان الصحف الوطنية هي التي تنشأ في احضان الاحزاب السياسية ، ولكن الذي حدث في مصر هو ان الاحزاب هي التي نشأت في احضان الصحف الوطنية . وقد تم تأليف هذه الاحزاب بين اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٠٦ وايلول (سبتمبر) ١٩٠٧ بالترتيب الآتي :

اولا ـ حزب الامة ، وقد نشأ في داخل الجريدة التي سنتحدث عنها الآن .

ثانيا ـ حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، وقد نشأ في داخل المؤيد للسيد علي يوسف .

ثالثا ـ الحزب الوطني ، وقد نشأ في داخل صحيفة اللواء لمصطفى كامل ومعنى ذلك ان الاراء التي نادت بها كل صحيفة من هذه الصحف الثلاث كانت قد تبلورت في مبادىء تصلح لان تكون اساسا لحزب من الاحزاب .

اما الجريدة فقيل في سبب ظهورها ان حادثا وقع يومئذ وكان له تأثير في نفوس المصريين ، وهو حادث (العقبة) وخلاصته ان الحكومتين التركية والمصرية اختلفتا على العقبة ، كل منهما تدعيها لنفسها دون الاخرى وتدخلت انجلترة بينهما ، فانتصرت لمصر على تركيا ، ولكن عقلاء الامة المصرية تنبهوا لهذا الوضع ولم تجز عليهم خديعة الاحتلال البريطاني فنصروا الاتراك على الانجليز في هذه المعركة ، وذهل الانجليز انفسهم لهذا الموقف وعاد العقلاء يفكرون في الامر ، فكان من رأي لطفي السيد وجماعته ان تنشأ جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون ان يكون لها تأثر بتركيا ولا تأثر بالسلطة الشرعية ممثلة في الخديو ، كما لا تتأثر بالسلطة الفعلية ممثلة في الاحتلال ، كذلك رأى لطفي السيد ان تكون الجريدة ملكا لشركة من اعيان البلاد او اصحاب المصالح الحقيقية فيها ، واما برنامج الجريدة فيتألف مما يلي :

اولا ـ نشر عقيدة الاستقلال بين افراد الامة المصرية ودحض الفكرة القائلة بان مصر يمكن ان تحصل على استقلالها بمساعدة فرنسا او تركيا ، مع انه لا سبيل الى حرية المصريين الا بجهود المصريين .

ثانيا ـ الدعوة لفكرة (الجامعة القومية او المصرية) بدلا من فكرة (الجامعة الاسلامية) لان الفكرة الاولى هي الموصلة للغرض . واما الثانية فلم تعد ذات فائدة لمصر .

ثالثا ـ الدعوة لجعل المذهب الحر أو (المذهب الليبرالي) اساسا للحكومة والمجتمع . وبه يصبح الاعتماد على الفرد لا على الحكومة في كل ما يتصل بالمجتمع من جميع مرافقه بحيث لا يعود للحكومة سلطان الا على ولايات ثلاث هي : القضاء ، والامن الداخلي ، والامن الخارجي .

رابعا ـ انماء الشخصية المصرية والنظر الى الامور السياسية من زاوية مصر وحدها مستقلة عن الدولة العثمانية ذاتها .

خامسا ـ العمل على تقوية الوحدة القومية بمعنى توحيد عنصري الامة وهما عنصر الامة وعنصر الاقباط حتى لا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها الى تحطيم الحركة الوطنية .

سادسا ـ المطالبة بالدستور الذي يجعل الامة شريكة للحكومة في الاعمال العامة ، ولا بأس في نظر الجريدة ان يكون الحصول على هذا الدستور بالتدريج وذلك عن طريق مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين وتوسيع اختصاصاتها تمهيدا للحصول على حياة دستورية افضل .

سابعا ـ الاخذ بايدي الموظفين المصريين في الحكومة والعمل على اصلاحهم من الناحية الخلقية والادارية حتى يصبحوا اهلا لتولي المراكز العليا بدلا من الاجانب .

ثامنا ـ الرد على تقارير اللورد كرومر والسير جورست واظهارهما

بمظهر الافتئات على حقوق المصريين والطعن عليهم في كفاءتهم بدون حق .

تاسعا - تشجيع الحركة العلمية والادبية والفكرية وتشجيع الصناعة والتجارة والزراعة والنهوض بالمجتمع المصري من كل جوانبه .

* * *

معنى ذلك انه وان اختلفت هذه الصحف الثلاث المؤيد واللواء والجريدة في طرق الاصلاح وفي المبادىء التي يبني عليها الاصلاح فقد كانت تشترك كلها في الاهداف الوطنية . غير ان الاحتلال البريطاني كان يضيق بصحف الحزب الوطني اكثر من ضيقه بصحف الحزبين الآخرين فلم يجد الاحتلال بدا من تعطيل اللواء ، وتم له ذلك في عام ١٩١٠ ، فصدر اللواء باسماء جديدة منها صحيفة العلم التي صدرت سنة ١٩١٠ وصحيفه الشعب عام ١٩١٣ .

الشعب

وهي صحيفة من صحف الحزب الوطني ظهرت في سنة ١٩١٣ وهي السنة التي شهدت في تاريخ مصر حدثا من الاحداث الهامة في المجال الدستوري وخلاصته ان الخديو عباس حلمي الثاني - بضغط من الوطنيين واصحاب الصحف واعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية - اصدر ما يسمى (بالقانون النظامي) وبمقتضى هذا القانون الغي المجلسين السابقين ليحل محلهما مجلس جديد باسم

(الجمعية التشريعية) غير ان هذه الجمعية لم تحقق رغبات البلاد بل ظهر انهـا لعبة في يد الاحتلال ولم يكن لاعضـاء هذه الجمعية حق محاسبة الوزراء ، اذ ذاك انبرى محرر (الشعب) امين الرافعي لمحاسبة هذه الجمعية التشريعية ومحاسبة الحكومة المصرية والاحتلال البريطاني على هذا النظام .

وبلغ من جرأة امين الرافعي في هذه الجـريدة انه كان يقول موجها كلامه الى الحكومة .

(اعطونا حق اسقاط الوزارة وخذوا لانفسكم حق حل الجمعية التشريعية) .

واعلنت الحرب العظمى بعد ذلك في آب (اغسطس) سنة ١٩١٤ واضطرت الحكومة الى اعلان الاحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف واعلان الحماية البريطانية في الثامن عشر من شهر ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٤ ، واصدرت الحكومة امرها لجميع الصحف بنشر اعلان الحماية ، فكبر ذلك على نفس امين الرافعي وابى ان يلطخ صحيفة (الشعب) بهذا العار وفضل ان يعطل بيده اصدار هذه الصحيفة فذلك اكرم له وللشعب المصري من نشر وثيقة الاعدام بالنسبة لمصر ، وبالفعل تم له ذلك في السابع عشر من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٤ ، وبذلك انتهى العصر الذهبي للصحافة المصرية أو انقضت الفترة التي اطلق عليها اســم (الطور " صحافي من اطوار الحركة الوطنية) .

* * *

(٨)

الصحف الطائفية في تلك الفترة

اعتزل كرومر منصبه بعد حادثة دنشواي المشـهورة ، واتى بعده (السير الدن غورست) وقال انه سيبدأ سياسة جديدة سماها (سياسة الوفاق) بين السلطة الشرعية ممثلة في الخديو والسلطة الفعلية ممثلة في الاحتلال ومن ثم زادت الهوة بين الخديو والوطنيين اتساعا ، وأمعن غورست في التضييق على الصحف الوطنيـة ، ومارس الى جانب ذلك سياسة اخرى هي سياسة (فرق تسد) وبسببها اخـذ يفرق بين الاقباط والمسلمين كما اخذ يفرق بين الخديو والوطنيين كما اخذ يتقرب من الاقباط في مصر ليغيظ بهم المسلمين ومن ثم بدأ ما يسمى في مصر (بالصراع الطائفي) وازداد هذا الصراع قوة بعد وفاة الزعيم الشاب مصطفى كامل ، وكان من اهم صحف الاقباط في تلك الفترة صحيفتان هما : صحيفة (مصر) وصحيفة (الوطـن) وكانت قد تعطلت ثم تجـددت على يد رجل من اقباط مصر اسمـه (جندي ابراهيم) سنة ١٩٠٠ ، واسرفت الصحيفتان القبطيتان في اثارة العداوة والبغضاء وفي المطالبة بحقوق اساسها التعصب الديني فاضطر الشيـخ عبدالعزيز جاويش للرد عليها في جريدة اللواء بلهجة عنيفة كل العنف ، وكان من المقالات القوية التي نشرها اللواء اذ ذاك مقال بعنوان « الاسلام غريب في بلاده » ثم حدث ان عين زعيم الاقباط اذ ذاك (بطرس غالي) رئيسا للوزارة المصرية فعادت الفتنة الى اشد مما كانت عليه قبل ذلك ، وكان لبطرس غالي هذا مواقف

غير مشرفة في نظر الوطنيين ، منها اعادة قانون المطبوعات الذي صدر في عام ١٨٨١ ، ومنها الموافقة على المشروع الخاص بمد امتياز قناة السويس ، وهو المشروع الذي اسخط الصحف الوطنية الى درجة شديدة وحمل صحيفة اللواء الى الحصول على النصوص السرية فزاد السخط على هـذا المشروع في حين ان صحيفة المقطم . والصحف القبطية كانت ترحب بالمشروع وانتهى الامر بمأساة كبيرة هي قتل بطرس غالي ـ قتله شاب مصري اسمه ابراهيم الورد اني في سنة ١٩١٠ فثارت ثائرة الصحف القبطية وانضمت اليها الصحف البريطانيـة بفضل الدعاية التي قام بهـا هناك شاب قبطي يقـال له (قرياقص ميخائيل) .

وبلغت الخصومة بين الاقباط والمسلمين اقصى مداها حين دعا الاقباط الى عقد المؤتمر القبطي بالصعيد ، ورد عليه الوطنيون بعقد (المؤتمر المصري) في مصر الجديدة عام ١٩١١ ، وانتهى المؤتمر القبطي والمؤتمـر المصري أو الاسلامي الى قرارات خلت من الاشارة الى موضوع الاحتلال أو الدستور ، وجاء هذا دليلا على نجاح غورست في التفرقة بين المسلمين والاقباط ، وعلى نجاح الاحتلال في السيطرة التامة على الحركة الوطنيـة حتى اضعفها وكاد يقضي عليها .

من أجل ذلك استطاع الاحتلال أن يقضي القضاء الاخير على صحيفة (اللواء) كما قلنا ، واذ ذاك ظهرت صحيفة وطنية جديدة ليست من صحف الحزب الوطني ولكنها من طراز (الجـريدة) وهذه الصحيفة الاخيرة هي :

الاهالي

لصاحبها عبدالقادر حمزه ، صدرت بمدينــة الاسكندرية عام ١٩١٠ ، وكانت عاملا كبيرا في تهدئة المعركة الطائفية بين المسلمين والاقباط ، واذ ذاك كان السير غورست قد مات وخلفه « اللورد كتشنر » وكان هذا يميل الى سياسة العنف التي سار عليها كرومر ولكنه في الوقت نفسه كان يميل الى الاصلاح .

ويومذاك خفتت اصوات الصحف الوطنية بعض الوقت فالشيخ علي يوسف يترك المؤيد عام ١٩٠٢ لظروف خاصة ويدركه الاجل في العام التالي وتتوقف صحيفته عن الصدور نهائياً سنة ١٩٠٦ ، (والجريدة) التي يحررها احمد لطفي السيد تترك العمل الصحفي عقب اعلان الاحكام العرفية في عام ١٩١٤ ، وصحيفة الشعب من صحف الحــزب الوطني تتوقف عن الصدور وتأبى كرامة محررها امين الرافعي أن يصــدر جريدة كما ذكرنا بها اعلان الاحكام العرفية ، وبقيت في الميدان الصحف التي آثرت عدم الاصطدام بالاحتلال مثل الاهرام والمقطم والاهالي .

الفصل الحادي عشر

الصحافة المصرية في الفترة الثالثة من فترات الاحتلال

قلنا ان الفترة الثالثة من فترات الاحتلال هي الفترة الممتدة من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٩، وهي بدون شك فترة ركود تام بالنسبة للصحافة المصرية وذلك بسبب قيام الحرب العظمى وبسبب اعلان الحماية على مصر واعلان الاحكام العرفية وفي تلك الفترة توقفت معظم الصحف المصرية، وكانت صحيفة المؤيد بنوع خاص قد اختفت نهائيا وبيعت بالفعل في سنة ١٩١٦، ولم يبق في الميدان غير الصحف التي في استطاعتها أن تهادن الاحتلال وان تساير ظروف الحرب مثل صحيفة المقطم وصحيفة الاهرام وصحيفة الاهالي في أول دور من ادوار

حياتها . وكان الاحتلال البريطاني فوق هذا وذاك قد اصدر اوامره بتعطيل الجمعية التشريعية وذلك في الثامن عشر من شهر اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩١٤ ، ويضاف الى هذا وذاك ان اسعار الورق ارتفعت الى درجة كبيرة وانخفض توزيع الصحف الى درجة كبيرة. ايضا ، واصبح اكثرها يصدر في نصف ورقة واحدة فقط غير ان من. الصحف التي ظهرت في تلك الفترة :

صحيفة السفور

وهي الوريثة الحقيقية للجريدة التي اختفت هي الاخرى سنة ١٩١٤ وكانت السفور تدعو بدعوة الجريدة في رفق واناة ، وكانت تسير على خطتها في التجديد ، وكانت صحيفة ادبية اجتماعية نقدية تصدر مرة كل اسبوع ، وظهر العدد الاول منها في يوم الجمعة ٢١ من شهر يوليو (تموز) ١٩١٥ بمدينة القاهرة ، وصاحبها ومحررها عبد الحميد حمدي ، وكان يشارك في كتابتها كل من الاساتذة محمد حسين هيكل ، ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمي ، واحمد امين ، وجميعهم فيما خلا الاول اساتذة في الجامعة المصرية في ذلك الحين ، ولديهم رصيد كاف من الافكار التقدمية في الادب والاجتماع والفلسفة ، أما السياسة فقد اتفقوا على عدم الخوض فيها .

وفي صحيفة السفور أتم اولئك الشبان المثقفون من الصحفيين واساتذة الجامعة - وكلهم من تلاميذ احمد لطفي السيد - رسالة التجديد التي بدأتها الجريدة ، وقد كانوا اشاركون استاذهم في تحريرها كذلك -

ولكي نأخذ فكرة عن الصحف السياسية في تلك الفترة نعود الى صحيفة الاهالي في عهد الاحتلال البريطاني .

سبق أن أشرنا الى ان صحيفة الاهالي ظهرت في مدينة الاسكندرية في عام ١٩١٠ وشهدت عصر الاحتلال البريطاني .

ونريد الان أن نعود الى هذه الصحيفة لكي نعطي للقارىء صورة من الصحافة الوطنية في اثناء المحنة التي اصابت البلاد بالاحتلال الانجليزي . كان عبدالقادر حمزه في حقيقة الامر من تلاميذ (الجريدة) وقد اعتنق الفكرة التى دعا اليها احمد لطفي السيد وهي فكرة (الجامعة المصرية) بدلا من (الجامعة الاسلامية) ولذلك وجدنا صحيفة الاهالي تحتفظ بهذه الفكرة في اثناء الاحتلال البريطاني ، وكان رجال الاحتلال بطبيعة الحال اميل الى فكرة الجامعة المصرية منهم الى الجامعة الاسلامية ولذلك توهم بعض المؤرخين حين قالوا ان فكرة الجامعة المصرية فكرة احتلالية والواقع انها ليست كذلك . وكان الاحتلال البريطاني في تلك الفترة ينتهج لنفسه سياسة جديدة منذ ظهور الاهالي وهي (سياسة الوفاق بين السلطتين الشرعية والفعلية ، فالاولى ترمز الى الخديو والثانية ترمز الى الاحتلال البريطاني) تمييزا لها عن سياسة الخلاف التي كان عليها كرومر .

وجاء عبدالقادر حمزه وهو رجل ذو عقلية عملية واقعية فامتدح سياسة الوفاق واثنى عليها وعلى المعتمد البريطاني الذي بدأ اذ ذاك سلسلة من الاصلاحات الزراعية والمالية ، ونعني بهذا الاخير

« لورد كتشنر » . غير ان كل ذلك لم يمنــع صحيفة الاهالي من أن تشعر بوطأة الاحتلال البريطاني على الصحف المصرية وتشعر كذلك بروح اليأس والقنوط الـتي داخلت هذه الصحف في تلك الفـترة القاسية من تاريخ البلاد المصرية .

وعن هذا كله اخذت تعبر (الاهالي) بـكثير من المقالات التي طبعت بطابع الحزن والـكآبة وعبرت عن اليأس من الوصول الى حياة حرة كريمة ومن هذه المقالات التي عبرت عن كل ذلك مقال بعنوان :

سياسة الغيط والمدرسة

جاء فيه :

فاذا كان المصريون يقابلون هذه الحالة الجديدة بالهدوء والسـكون فليس ذلك لان حــرارة وطنيتهم قد بردت ، ولا لانهم لم يعــودوا يـكترثون بالحوادث ، ولـكن لانهم فقدوا آمالهم واحدا بعد آخر ، ثم فهموا من اليوم الذي عقد فيـه الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلتره انهم سائرون ـ لا محالة ـ الى حالة جديدة ولا يحبون بعد أن قتلوا الايام تجربة أن يبقوا اطفالا ينـكرون الواقع .

ثم قال الـكاتب في ختام هذا المقال :

« ولذلك بقي المصري لغيطه ومدرسته فقط والمستقبل كله له اذا عرف كيف يحتفظ بغيطه والمدرسة »[1] .

---

(١) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية في مصر ، الجزء الثامن ، ص ٦٠ .

ومعنى ذلك ان الصحافة المصرية في فترة الركود بسبب الحرب الكبرى وما يليها من اعلان الحماية وفرض الاحكام العرفية اصبحت في حالة يأس تام من الاشتغال بالامور السياسية ، ودعا ذلك اصحاب الصحف اذ ذاك الى ترك السياسة جملة والالتفات فقط الى المصالح الخاصة التي عبر عنها صاحب الاهالي بسياسة الغيط (الحقل) والمدرسة .

وجدير بنا قبل ان نفرغ من الحديث عن الصحافة المصرية منذ الاحتلال البريطاني الى قيام الثورة الشعبية الكبرى سنة ١٩١٩ ان نعني بامرين هامين :

اولهما ـ الاشارة العابرة الى اشهر المجلات المصرية في تلك الفترة .

وثانيهما ـ الاشارة الى ان الصحافة المصرية اذ ذاك كانت صناعة الى جانب كونها رسالة .

* * *

الفصل الثاني عشر

اشهر المجلات المصرية

في الفترة من ١٨٧٥ الى قيام الحرب العظمى

كنـا نتحدث الى الان عن الصحف اليومية وذلك منذ بداية عهدنا بالصحافة الشعبية في مصر الي وقت قيام الحرب العظمى .

ولم نشر في اثناء هذا الحديث السابق الى المجلات أو الصحف الدورية والسبب في ذلك ان هذه المجلات لم يكن لها طابع سياسي ولم تتصل بالسياسة إلا من بعيد . وأما الطابع العام لهذه المجلات فكان طابعا ادبيا واجتماعيا ونقديا ، فالمجلة في ذلك الوقت ـ وما زالت الى ايامنا هذه ـ معرض للافكار الادبية والاجتماعية والنقدية والفنية ، وأما التعليق السياسي ومتابعة الاحداث السياسية فليس هدفا اساسيا للمجلات الى وقتنا هذا .

لذلك نقتصر هنا على مجرد الاشارة الى بعض هذه المجلات التي ظهرت في مصر ابتداء من سنة ١٨٧٥ الى وقت قيام الحرب العظمى، ومن هذه المجلات ما يلي :

١ـ الهلال ، صدرت عام ١٨٩٢ لجورجي زيدان ومازالت تصدر الى اليوم .

٢ـ الطائف ، صدرت عام ١٨٨٦ لصاحبها شاهين مكاريوس .

٣ـ مجلة المجلات المصرية ، التي صدرت عام ١٩٠٠ وكانت تعتمد على الصورة اعتمادا كبيرا .

٤ـ مصباح الشرق ، صدرت عام ١٨٩٨ لابراهيم المويلحي .

٥ـ المجلة المصرية ، صدرت عام ١٩٠٠ لخليل مطران .

٦ـ الزهور ، صدرت عام ١٩١٠ لانطون الجميل .

٧ـ البيان، صدرت عام ١٩١١ لعبدالرحمن البرقوقي ومحمد السباعي .

٨ـ منتخبات الروايات ، صدرت عام ١٨٩٤ لاسكندر كركور .

٩ـ مسامرات الشعب ، صدرت سنة ١٩٠٤ لخليل صادق .

١٠ـ الروايات الجديدة ، صدرت سنة ١٩١٠ لنقولا رزق .

١١ـ مجلة الفتاة ، صدرت عام ١٨٩٢ للسيدة هند نوفل ، بالاسكندرية .

١٢ـ انيس الجليس ، صدرت سنة ١٨٩٨ للسيدة الكسندر افرينو بالاسكندرية .

١٣ ـ فتاة الشرق ، صدرت سنة ١٩٠٦ للسيدة لبيبة هاشم .

وصواحب المجلات الثلاث الاخيرات سيدات لبنانيات .

١٤ ـ مجلة ابو زيد ، صدرت عام ١٩٠١ لابراهيم المويلحي ، وكانت تعتمد على الرسوم الساخرة .

١٥ ـ السياسة المصورة ، صدرت سنة ١٩٠٧ لعبد الحميد زكي بالاشتراك مع الشاعر حافظ ابراهيم .

غير ان كل هذه المجلات لم تحظ بطول العمر ، فلم يكن يظهر منها اكثر من بضعة اعداد ثم تختفي وذلك باستثناء (مجلة الهلال) التي حظيت بحياة طويلة لم تزل ممتدة الى اليوم .

* * *

صحافة ذلك العهد صناعة الى جانب كونها رسالة

جدير بنا ان نلاحظ ان الصحافة المصرية خلال الاحتلال البريطاني في فتراته الثلاث اصبحت لاول مرة في تاريخها صحافة تعتمد على رؤوس الاموال الكبيرة سواء عن طريق الشركات المساهمة او طريق الجماعات أو الافراد من ذوي الثراء الضخم ، وبهذه الطريقة نشأت صحف الحزب الوطني . ونشأت صحيفة الجريدة ، ونشأت صحيفة المؤيد ، ونشأت صحيفة الاهرام ، والمعروف ان اللواء سبقت غيرها بتأسيس اول شركة صحفية مساهمة في اواخر عام ١٩٠٦ وقد ساعد ذلك جميع هذه الصحف على أن تصدر بشكل فني جذاب كما ساعد ذلك بعض الصحف على الحصول على آلات طابعة حديثة مثل

آلة (الروناتيف) وقد بدأ بها السيد علي يوسف سنة ١٩٠٦ واحتفل
بيوم وصولها احتفالا عظيما بدار الصحيفة ، وكذلك تقدم فن
الاخراج الصحفي بسبب هذا النظام ، وظهرت الرسوم اليدوية والصور
الظلية (المافتون) وكانت الاهرام رائدة الصحف المصرية منذ
بداية القرن العشرين وتطورت العنوانات الصحفية كذلك فاصبحت
تمتد على عمودين أو اكثر ومهد ذلك لظهور العنوانات العريضة أو
(المانشتات) المعروفة ، وكان من اثر هذا النظام الجديد كذلك أن
أصبح للصحافة مراسلون في الخارج ومندوبون للاخبار في الداخل
ومحررون ممتازون يساعدون في تحرير الصحيفة ، وقامت وكالات
الانباء المشهورة كوكالة (رويتر) ووكالة (هافاس) بخدمات كبيرة
لهذه الصحف . معنى ذلك ان الصحافة المصرية كانت في عهد بداوة
حقيقية الى الوقت الذي وطئت فيه اقدام الانجليز أرض الوطن
المصري وكانت هذه البداوة تتمثل في بساطة الشكل الذي تصدر
فيه الصحيفة ، وقلة الاموال التي تستخدم في اصدار الصحيفة وبهذه
المناسبة نذكر ما حكي عن اديب اسحق من انه اراد مرة أن يصدر
جريدة من وحي استاذه جمال الدين الافغاني ، ولم يكن في جيبه اذ
ذاك اكثر من عشرين قرشا .

أما الصحف المصرية منذ عهد الاحتلال فقد انتقلت الى طور جديد
من حيث الشكل لا يقل في اهميته عن الطور الذي انتقلت اليه من
حيث الروح أو الموضوع . فالحق لقد بلغت الصحافة المصرية حدا

من النضج في المظهر الخارجي يلفت نظر المؤرخ لهذه الصحافة ويحتم
عليه أن يسجل هذه الظاهرة وانتقلت الصحافة المصرية لاول مرة في
تاريخها الى دور الصناعة وقطعت اول شوط من اشواط هذا الدور
بعد اذ تركت دور البداوة ، ومعنى ذلك بعبارة اخرى ان الصحف
المصرية بدأت تقوم على رؤوس الاموال الضخمة كما قلنا سواء عن
طريق الشركات المساهمة أو طريق الافراد ذوي الثراء الواسع والقدرة
المالية الكافية وقد ضربنا المثل بالجريدة التي كان يحررها لطفي السيد
فقد كانت تتولى اصدارها شركة مساهمة من الاعيان المصريين
وذوي المصالح الحقيقية وضربنا المثل ايضا بجريدة الاهرام التي اسست
أول شركة مساهمة في سنة ١٩٠٦ و كذلك كانت اللواء التي سبقت
جميع الصحف الى هذا النظام .

واما (العنوانات) فقد خضعت هي الاخرى لكثير من التطور
وبدا عليها كثير من التحسن ، و كان الفضل في ذلك للاحداث
الهامة التي وقعت في اوائل القرن العشرين ، فقد بدأت هذه العنوانات
تنتشر على اكثر من عمود وشيئا فشيئا عرفت الصحف العنوانات
العريضة التي نطلق عليها اسم (المانشتات) وحسبك ايها القارىء
أن ترجع الى الصحف المصرية في السنة التي وقعت فيها حادثة
دنشواي والتاريخ الذي توفي فيه الزعيم الشاب مصطفى كامل
ونحو ذلك لترى مصداق ذلك .

وأما الاعلانات فقد وجدت لها مكانا متسعا في جميع

الصحف ، واصبحت مصدرا هاما من مصادر الايراد ، وكان يتحكم فيها ذوق صاحب الصحيفة ومحررها احيانا ، كما كان الحال مع امين الرافعي محرر جريدة الاخبار ، فقد كان من سياسة الاعلان لديه ان يرفض كل اعلان للمشروبات الروحية مهما غلا ثمنه .

وظاهرة اخرى تستحق التسجيل وهي ان الصحف المصرية كانت في عهد بداوتها تتخذ من الاسكندرية مقرا لها باعتبار انها البلد الذي يسكنه اكثر الاجانب المقيمين بالديار المصرية . ولكن الصحافة في العهد الاول من عهود الصناعة استقرت نهائيا في القاهرة لانها العاصمة ولانها منبع الحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية. وهناك صحيفتان كبيرتان نشأتا في الاسكندرية ثم انتقلتا الى القاهرة وهما صحيفة الاهرام وصحيفة الاهالي، وبذلك أعطت كل منهما المثل لكل صحيفة تصدر بعد ذلك ولم تخرج على هذه القاعدة غير جريدة البصير التي اصدرها رشيد شميل سنة ١٨٩٧ في الاسكندرية وبقيت في هذه المدينة ولم تتحول عنها .

الفصل الثالث عشر

ثورة سنة ١٩١٩

كلمة تمهيدية

في عهد الاحتلال البريطاني بلغ الهوان بالوطنية المصرية حداً دعا معه اللورد كرومر بالنداء بالجنسية المصرية والدعوة الى اعتبار مصر وطناً دولياً مباحاً لكل اجنبي يفد اليها ولو لمساحة عابرة . بل ان الهوان بالوطنية المصرية بلغ كذلك حداً رأينا معه المستشار البريطاني في مصر (وليم برونيت) يضع لمصر قانوناً نظامياً ينزل بنا الى درجة اسوأ من مرتبة المستعمرات الانجليزية ، ذلك انه جعل سلطة التشريع المصري بايدي الاجانب بالاشتراك مع المصريين .

من أجل ذلك كان ينظر الانجليز في تلك الظروف الى مطالبة المصريين بالاستقلال والدستور على انها نوع من الحماقة والجنون ،

وبهذا كان يصرح الكثيرون من المتمدين البريطانيين . ومن ذلك نفهم ان ثورة سنة ١٩١٩ كان الغرض منها :

اولا ـ التخلص من الاحتلال البريطاني والحماية البريطانية والاحكام العرفية .

ثانيا ـ المطالبة بالاستقلال الحقيقي .

ثالثا ـ المطالبة بالدستور والحكم النيابي بالصورة التي اوجد بها هذا الحكم في اكثر بلاد العالم المتمدن .

سعد زغلول زعيم الثورة

واقترنت هذه الثورة باسم سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية وذلك منذ ذهب هذا الزعيم ومعه زميلاه عبدالعزيز فهمي وعلي شعراوي وهما عضوان بالجمعية التشريعية الى دار الحماية البريطانية في الثالث عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ (اعني بعد اعلان الهدنة بيومين فقط) وطلبوا من المندوب السامي البريطاني الترخيص لهم بالسفر الى لندن لعرض مطالب الامة المصرية على الحكومة البريطانية . فعلق المندوب السامي البريطاني على هذه المقابلة بقوله (انه يدهش من أن ثلاثة فقط يتحدثون باسم امة باسرها دون ان يكون لهم توكيل عنها) .

اذ ذاك وردت على ذهن سعدزغلول فكرة تأليف الوفد المصري ليكون وكيلا عن الامة المصرية في المطالبة بحقوقها السياسية ،

(٩)

وسرعان ما تألف الوفد ووضع سعد صيغة التوكيل الذي وقعه اعضاء الجمعية التشريعية وكثير من أفراد الامة المصرية .

ثم حدث ان اعلنت جمعية الاقتصاد والتشريع بالقاهرة في السابع عشر من شهر فبراير (شباط) سنة ١٩١٩ عن اجتماع عام لسماع المحاضرة التي يلقيها المستر برنفال عن الوضع السياسي الراهن في مصر ، فانتهز سعد زغلول هذه الفرصة وحضر ومعه عدد كبير من المواطنين الى مكان الاجتماع ، وانتهى المحاضر من القاء محاضرته ثم وقف سعد زغلول يعلق على الخطبة فقال :

(ايها السادة ، ان بلادنا لها استقلال ذاتي ضمنته معاهدة ١٨٤٠ واعترفت بها المعاهدات الدولية الاخرى ، وانتم تعلمون ان الحماية لا تكون الا بعقد يكون بين طرفين أو امتين تطلب احداهما ان تكون تحت حماية الاخرى وتقبل الاخرى ان تتحمل اعباء الحماية ، وذلك ما لم يحصل في مصر في الماضي ولن يحصل منها في المستقبل ، وفي سنة ١٩١٤ اعلنت انكلترا الحماية من تلقاء نفسها وبدون ان تطلبها مصر أو تقبلها الامة المصرية فهي اذن حماية باطلة ولا وجود لها قانونا ، لانها من طرف واحد بل هي ضرورة من ضرورات الحرب تنتهي بنهايتها ولا يمكن ان تعيش هذه الحماية بعد الحرب بدقيقة واحدة .)

وترك سعد منبر الخطابة بين تصفيق المواطنين واسقط رجال الاحتلال في ايديهم وقالوا يومها ان سعدا نقل الثورة من الصالونات الخاصة الى الشوارع العامة .

ومن ذلك الوقت احس الاحتلال بالخطر من هذا السخط فنفى سعدا وصحبه من ارض الوطن الى جزيرة مالطه لا لشيء الا لانهم أبوا الخضوع لانذارات السلطة البريطانية العسكرية التي حالت بينهم وبين السفر الى باريس حيث مؤتمر السلام أو الى لندن لعرض مطالب البلاد على الحكومة الانجليزية غير ان هذا النفي كان بمثابة الشرارة الاولى لهذه الثورة الشعبية التي بقيت مشتعلة سنتين وشهرا ، فقد بدأت في مارس (آذار) سنة ١٩١٩ واستمرت الى ابريل (نيسان) سنة ١٩٢١ .

الثورة تشمل جميع طبقات الامة

والمهم في هذه الثورة انها لم تكن محصورة في فئة بعينها ولا في طبقة بعينها بل اشترك فيها الشعب المصري بجميع طبقاته وجميع هيئاته من طلبة وعمال وفلاحين وموظفين رسميين واطباء ومحامين ومهندسين ، وكان للمرأة المصرية في هذه الثورة نصيب كبير ايضا ، ففي السادس عشر من شهر مارس (آذار) سنة ١٩١٩ خرجت مظاهرة من ثلثمائة سيدة وقدمن احتجاجا مكتوبا للمعتمد البريطاني انكرن فيه الحماية واستنكرن فيه الحيلولة دون سفر الوفد المصري الى باريس لعرض القضية المصرية على (مؤتمر السلام) .

وبعد حركات شعبية كثيرة من هذا القبيل اضطرت الحكومة البريطانية الى الافراج عن سعد زغلول وكان ذلك في السابع من شهر ابريل (نيسان) سنة ١٩١٩ ، وحاول الانجليز في نفس الوقت

ان يحاربوا القضية المصرية في مؤتمر السلام وان يحملوا الدول على الاعتراف بالحماية .

وبالفعل اعلن المؤتمر قراراته وفيه تأييد ظاهر للحماية البريطانية على مصر ، وهنا عادت الثورة باشد مما كانت عليه وعاد الاضطهاد من جانب السلطة العسكرية البريطانية باقوى مما كان عليه ، وصمد الوطنيون في ثورتهم حتى اصدرت اللجنة الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي قرارا بان مصر ليست تابعة لتركيا ولا تابعة لبريطانيا ، وبذلك ضعف الاثر الذي كان لقرارات مؤتمر السلام .

لجنة ملنر

اذ ذاك صرحت انجلتره بانها ستبعث لجنة بريطانية برئاسة (لورد ملنر) الى مصر لتجري تحقيقا في اسباب الثورة وتفاوض المصريين في مطالبهم القومية ، غير ان هذا اقترن بتصريح من جانب الحكومة الانجليزية بتمسكها بالحماية ، فثارت الخواطر في مصر لهذا التصريح ثم جاءت لجنة ملنر الى مصر فقاطعها المصريون مقاطعة تامة ، وايقنت لجنة ملنر بانه لا سبيل الى مفاوضة المصريين إلا على اساس من الاعتراف باستقلالهم ، كما اقتنعت بان الجهة الوحيدة التي يمكن التفاوض معها هي (الوفد المصري) برئاسة سعد زغلول لانه الهيئة التي وكلتها الامة المصرية للمطالبة بالاستقلال والحرية وبذلك نجحت الثورة في الغاء الحماية البريطانية منذ صدر تصريح بريطاني في الثامن.

والعشرين من شباط سنة ١٩٢٢ اعترفت فيه انجلترة بمصر دولة مستقلة ذات سيادة .

واذ ذاك اصبح من حق المصريين أن يضعوا لانفسهم دستورا يفي بحاجاتهم ويحقق امانيهم ، ووضع هذا الدستور في سنة ١٩٢٣ وبدأت مصر حياة نيابية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، وكان النواب المصريون يومئذ يمثلون حزبين كبيرين هما : حزب الوفد ، وحزب الاحرار الدستوريين الذين كان لهم فضل وضع الدستور وصياغته صياغة قانونية . وكان بمصر في ذلك الوقت احزاب سياسية اخرى منها الحزب الوطني ولكن لم تكن لها اهمية هذين الحزبين الكبيرين اللذين تركا في الحياة النيابية السياسية في مصر اكبر الأثر .

الفصل الرابع عشر

الصحافة المصرية وثورة سنة ١٩١٩

في بداية هذه الثورة الشعبية الكبرى كانت الاحكام العرفية قائمة ومطبقة على الصحف المصرية بكل شدة ، ومع هذا وذاك فقد وجدنا من الصحف الوطنية من كان يظهر التأييد لهذه الثورة بشيء كثير من الاحتياط. والتحفظ ، ومن امثال هذه الصحف (جريدة الاهرام) التي اخذت ترد على مزاعم الانجليز الذين اتهموا المصريين الثائرين بالتطرف ، ومنها جريدة (الاهالي) لصاحبها عبدالقادر حمزة وكانت من هذه الثورة على موعد ولذلك انتهزت كل فرصة لاظهار تأييدها لهذه الثورة ، وانتقلت بسبب ذلك من الاسكندرية الى القاهرة وتعرضت للتعطيل والالغاء مرات عديدة .

أما صحيفة (المقطم) فانها انفردت من دون الصحف الوطنية -

بوصفها الثورة بأنها (شغب ومظاهرات وحوادث يؤسف لها ، وكارثة حلت بالبلاد وفتنة تهدد مصالحها) الى آخر ذلك من الاوصاف .

ومضت الثورة في طريقها وكان لابد للصحافة من أن تستجيب لها وتنفعل بهـا ، وبدأ المصريون يحسون بالتجاوب بين الصحافـة والثورة بعد الافراج عن سعد زغلول والسماح له ولاصحابه بالسفر من المنفى الى باريس لعرض القضية الوطنية على مؤتمر السلام .وذلك بطبيعة الحال قبل أن يعلن المؤتمر قراراته المؤيدة للاحتلال واذ ذاك اشتد ضغط الاحتلال على الصحف الوطنية وعطل كثيرا منها ، فاستعاض الصحفيون الوطنيون عن هذه الصحف المعطلة بنشـرات علنية تارة واخرى سرية ، ومن الاخيرة نشرة باسم (الوفد المصري) واخرى باسم (ابو الهول) .

ثم حضرت لجنة ملنر الى مصر كما تقدم وقضت بها ثلاثة أشهر فرأى الاحتلال أن يبسط للصحافة المصرية مؤقتا من حبل الحرية ، وقصده من ذلك أن يتعرف على الرأي العام المصري في تلك الفترة ، فانتهزت (الاهرام) و (الاهالي) هذه الفرصة ونشـرت كل منهما مقالات كثيرة لبعض الوطنيين في المطالبة بالاستقلال وجلاء القوات البريطانيـة ، ولما انتهت مهمة هذه اللجنة عاد الاحتلال الى التضييق على الصحف باكثر من ذي قبل .

يجمل بنـا بعد ذلك ان نشير اشارة عابرة الى أهم الاحـداث السياسية التي اثرت في صحافة الثورة .

وكان من أهم هذه الاحداث ما يلي :

اولا ـ وصول لجنة ملنر الى القاهرة كما قدمنا ، ويومهـا طلعت جريدة (النظام) لصاحبها سيد علي باقتراح وجد فيه المصريون مخرجا لهم من هذه الورطة التى وقعوا فيها بسبب حضور لجنة ملنر ، وهذا الاقتراح هو مقاطعة لجنة ملنر والحيلولة بينها وبين القيام بمهمتها على تلك الطريقة التي لم يرض بها الشعب .

ثانيا ـ بدء المفاوضات المصرية الانجليزية وذلك منذ اقتنعت لجنة ملنر بان (الوفد المصري) برئاسة سعد زغلول هو الهيئة الوحيدة التي يمكن التفاوض معها في مطالب الامة المصرية ، بعد ذلك ذهب سعد من باريس الى لندن لاجراء اولى هذه المفاوضات ، واختلف الجانبان المصري والانجليزي اختلافا اساسيا ادى الى قطع المفاوضات ، واذ ذاك بدأ الشقاق في صفوف الامة المصرية التي انقسمت يومهـا الى فريقين :

١ـ فريق يرى ان الحكومة المصرية هي صاحبة الحق في اجراء المفاوضات مع الحكومة الانجليزية .

٢ـ وفريق يرى ان (الوفد المصري) هو وحده صاحب الحق في ذلك بوصفه وكيلا عن الامة .

الفريق الاول بزعامة عدلي يكن رئيس الوزارة المصرية والفريق الثاني بزعامة سعد زغلول .

وحين رجع سعد زغلول من لندن الى مصر بعد قطع المفاوضات

مع لجنــة ملنر سافر عــدلي يــكن بوصفه رئيسا للحكومة المصرية لاستئناف هذه المفاوضات ، ولـكن عدلي يـكن لم يفلح بدوره في الوصــول الى نتيجة فقطع المفاوضات وعاد الى مصــر وفيها هاتان الجبهتان المتعارضتان كل التعارض ، وهما جبهة سعد وجبهة عدلي .

أما الحزب الوطني فلم يـكن من مبادئه الرضى بالمفاوضات لانه القائل بمبدأ (الجلاء قبل المفاوضات) ولذلك ابتعد عن هذه الحركة وبدأ ينساه الشعب المصري ، وان لم ينس بلاءه في عهد زعيمه الاول مصطفى كامل .

ثالثا ـ اما ثالث الاحداث الهامة التي تأثرت بها الصحافة المصرية فهو تصريح ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٢ فبعد أن تبين للانجليز بما لا يدع مجالا للشك ان الحماية اصبحت علاقــة غير مرضية ولا مجدية بين مصر وانجلترا اصدرت الحكومة البريطانية التصريح المذكور الغت فيه الحماية البريطانية ومهدت بذلك لالغاء الاحكام العرفية .

واعترف التصريح باستقلال مصروسيادتها ، ولـكنه قرن ذلك بتحفظات اربعة وهي :

١ـ الدفاع عن مصر في وقت الحرب .

٢ـ حماية الاجانب المقيمين بها .

٣ـ حماية الاقليات كذلك .

٤ـ مسألة السودان .

وهاجمت صحف الوفد تصريح ٢٨ فبراير بقوة وعنف ووصفه سعد بأنه نكبة وطنيـة ، وكذلك عارضت التصريح صحيفة من اهم الصحف في تلك الفترة وهي صحيفة الاخبار لامين الرافعي ، ونظرت الى الاستقلال الذي يعترف به التصريح على انه استقلال شكلي وليس بحقيقي .

رابعا ـ اما رابع الاحداث التي تأثرت بها الصحف المصرية فهو حادث صدور دستور سنة ١٩٢٣ ، فقد ترتب على تصريح ٢٨ فبراير ان تألفت وزارة مصرية برئاسة عدلي يكن وشيعته فقامت هذه الوزارة بتأليف لجنة لوضع الدستور ليس بها عضو من هيئة الوفد المصري ، فوقفت الصحف المصرية من الوزارة موقف المعارضة في تشكيل هذه اللجنة ، وذهبت صحف الوفد ومعها جريدة الاخبار الى أن الدستور لا بد له من جمعية تأسيسية تقوم بوضعه ولا بد لهذه الجمعية من أن تكون على اساس الانتخاب .

وانتهز امين الرافعي هذه المناسبة وقام بنشر سلسلة من البحوث القانونية العميقة في صحيفة الاخبار حـول هذه المسألة ، واقتدت الاهرام بصحيفة الاخبـار في ذلك ونشرت بعض المقالات لبعض رجال القانون الدستوري وناقشت الصحافة المصرية بهذه الطريقـة كثيرا من المسائل التي منها حق الاقليات والنص على سلطة الملك الدستورية وتحديد هذه السلطة ، ومنها مسألة السودان ، والذي دعا الصحافة الى مناقشة هذه المسألة الاخيرة هو تدخل الانجليز في

نصوص الدستور ، ومنها النص الذي يشير الى الملك على انه (ملك مصر والسودان) .

خامسا ـ اي خامس الاحداث التي اثرت في الصحافة المصرية فهو ظهور الاحزاب السياسية الجديدة .

فرغت اللجنة من وضع الدستور وكان لا بد للحياة النيابية الصحيحة من أن تبدأ في مصر في ذلك الوقت ، ولم يكن من الطبيعي ان تجري الانتخابات البرلمانية وسعد غائب عن الوطن في المنفى ولذلك اتفقت السلطات البريطانية والحكومة المصرية على عودة سعد الى الوطن فعاد اليه بعد غيبة طويلة دامت اكثر من سنتين ، واحسنت البلاد استقباله وبالغت في ذلك مبالغة اضعفت امل الاحرار الدستوريين في الفوز في الانتخابات القادمة ، وبذلك فاز الوفد باغلبية ساحقة ، يومئذ اصبح الوفد عقيدة سياسية للامة المصرية ، واصبح سعد زغلول وحده رمزا لهذه العقيدة .

اما هذه الاحزاب الجديدة التي ظهرت على مسرح السياسة فاهمها ما يلي :

١ـ حزب الوفد ، وهو حزب الاغلبية وزعيمه سعد زغلول .

٢ـ حزب الاحرار الدستوريين الذي تم تأليفه بعد الفراغ من وضع الدستور ، وزعيمه عدلي يكن .

٣ـ حزب الاتحاد (أو حزب السراي) ، وكان الغرض منه ـ كما زعم ذلك رجال الديوان الملكي ـ احداث التوازن بين الاحزاب السياسية القائمة .

وفشل هذا الحزب الملكي فشلاً تاماً ثم اعيد انشاؤه باسم جديد هو (حزب الشعب) وذلك سنة ١٩٣٠ وفشل هذا الحزب الاخير كسابقه لا لشيء الا لانه لم يعتمد على حق دستوري في انشائه فليس لملك من الملوك ان يكون له حزب سياسي في الدولة التي يحكمها .

٤ـ حزب الهيئة السعدية ، ورئيسة احمد ماهر وسيأتي ذكره فيما بعد .

* * *

اهم الصحف المصرية في ثورة سنة ١٩١٩

اولا ـ صحف الوفد ..

ظهرت باسم الوفد المصري صحف كثيرة في ذلك الوقت ، ومنها .

البلاغ

وقد حصل على اذن بصدور هذه الجريدة الاستاذ عبدالقادر حمزه في السادس عشر من شهر ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٢ ، وبينما كان يستعد لاصدار العدد الاول منها علم سعد زغلول ـ وهو في المنفى ـ بنبأ هذه الصحيفة ، فارسل الى صاحبها برقية تهنئة ، وفي الثامن والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٣ صدر العدد الاول وفي اوله برقيات التهاني التي بعث بها سعد ورجال الوفد وبذلك بدت هذه الصحيفة وفدية واتخذت فيها شعارا هو عبارة عن كلمة من كلمات سعد وهي :

(يعجبني الصدق في القول و الاخلاص في العمل وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون) .

وبقيت صحيفة البلاغ تساند سعدا حتى انتقل الى جوار ربه في آب اغسطس ١٩٢٧ ، ومضت البلاغ في مساندة الوفد المصري حتى سنة ١٩٣٢ ثم تخلت عنه لاسباب كثيرة سنشير اليها بعد .

كوكب الشرق

وصاحبها احمد حافظ عوض ، وهي جريدة وفدية صدرت عام ١٩٢٤ وكانت لها اتجاهات شرقية اسلامية تجعلنا ننظر اليها على انها امتداد لصحيفة المؤيد للسيد علي يوسف . وتوقفت كوكب الشرق عام ١٩٣٩ ، وشارك في تحريرها الدكتور طه حسين والدكتور احمد ماهر زعيم حزب الهيئة السعدية وغيرهما .

ثانيا ـ صحف الاحرار الدستوريين ..

كان من اولى صحف هذا الحزب في مصر :

السياسة (اليومية)

وهي الصحيفة التي صدرت عقب تكوين حزب جديد باسم (الاحرار الدستوريين) وذلك في سنة ١٩٢٢ ، وكان يتولى تحرير هذه الصحيفة الدكتور محمد حسين هيكل ، وكانت تنفق على هذه الصحيفة شركة مؤلفة من اقطاب هذا الحزب وسراته .

وامتازت صحيفة السياسة في تاريخ الصحافة المصرية بدفاعها

المجيد عن الحرية ، ولا غرابة في ذلك فقد كان محررها محمد حسين هيكل تلميذا للاستاذ احمد لطفي السيد محرر (الجريدة) والمدافع الاصيل عن الحريات في مصر . واشترك في تحرير (السياسة) اليومية كل من طه حسين وتوفيق دياب ومصطفى عبد الرازق استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة ومحمود عزمي وابراهيم عبدالقادر المازني .

ثالثا ـ صحف الحزب الوطني ..

اللواء المصرى

لم يكن للحزب الوطني دور هام في الثورة الشعبية التي قامت في سنة ١٩١٩ ، ومع هذا وذاك فقد كان لا بد أن يوجد للحزب الوطني صحيفة . وهذا ما حاوله رئيس ذلك الحزب (محمد حافظ رمضان) باصداره صحيفة اللواء المصري سنة ١٩٢١ ، غير ان هذه الجريدة لم تحظ بسعة الانتشار .

الاخبار [1]

كان للحزب الوطني قبل قيام الثورة جرائد كثيرة من اهمها جريدة الشعب التي كان يحررها امين الرافعي ، واحتجبت الشعب باعلان الحماية البريطانية كما تقدم ، فلما قامت الثورة المصرية رأى امين الرافعي ان من واجبه ان يستأنف الجهاد الوطني فقام بتحرير (الاخبار) وهي الصحيفة التي اصدرتها (شركة الصحافة الوطنية)

---

(١) كان من حق هذه الجريدة أن تذكر قبل غيرها من جرائد تلك الفترة . فمعذرة للقارىء لتأخير ورودها .

وظهر العدد الاول منها في العشرين من شهر فبراير (شباط) سنة ١٩٢٠ .

وآلى الرجل على نفسه في هذه الجريدة ان يدافع باخلاص عن القضية المصرية ووقف وراء سعد في بداية الامر يؤازره بكل قوة، ولكن ما لبث ان اختلف مع سعد عندما فكر هذا الزعيم في استئناف المفاوضات مع الانجليز قبل ان يشترط عليهم تعديل الاساس الذي تبنى عليه هذه المفاوضات ، غير اننا نعلم أن امين الرافعي كان تلميذا مخلصا لمصطفى كامل وانه اشترك في صحف الحزب الوطني على هذا الاساس، وحين عاد امين الرافعي الى الميدان الصحفي واصبح محرر (الاخبار) قال (انه لا يخدم في الاخبار هيئة خاصة ولا يعبر عن رأي طائفة بالذات وانما يخدم امة تدافع عن مبدأ واحد فقط هو الاستقلال التام) .

وسارت الاخبار على هذا النهج الى العاشر من شهر مايو (ايار) سنة ١٩٢٥ ، وفي ذلك اليوم صدرت الصحيفة باسم جديد هو :

اللواء المصري والاخبار

صحيفة الحزب الوطني

غير ان هذا الاتحاد بين اللواء المصري والاخبار لم يدم اكثر من ثلاثة اشهر وايام ، انفصلت الاخبار بعدها عن اللواء المصري وبقيت كذلك الى وفاة امين الرافعي نفسه في ديسمبر ١٩٢٧ .

الفصل الخامس عشر

الصحافة المصرية
في عهد انتكاس الدستور

ومعاهدة سنة ١٩٣٦

يمكن النظر الى حياة مصر في ظل الدستور الذي صدر في سنة ١٩٢٣ على انها حياة ذات طورين :

١ـ طور انتعاش الدستور ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠ .

٢ـ وطور انتكاس الدستور من سنة ١٩٣٠ ـ الى ان نجح المصريون في اعادة هذا الدستور سنة ١٩٣٥ . كما سنشرح ذلك بعد .

في الطور الاول ـ طور انتعاش الدستور ـ نعم المصريون بحياة نيابية صحيحة وقد نص هذا الدستور على حرية الصحافة وكان لذلك

اعظم الاثر في الحركة الادبية والفكرية والصحفية وشهدت مصر في تلك الفترة اعظم كتابها وادبائها في حقيقة الامر .

وفي الطور الثاني ـ كان اسمعيل صدقي رئيسا للوزارة المصرية فعطل الدستور في الثاني والعشرين من شهر اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٣٠ ووضع مكانه دستوراً آخر ، وكان الفرق بين الدستورين ان الاول ـ وهو دستور سنة ١٩٢٣ ـ كان يسمى دستور الامة ، واما الثاني فكان يسمى دستور صدقي ، وفي هذا الاخير من العيوب ما اثار ثائرة الرأي العام في مصر ، فقد اعتبر صدقي ان الدستور منحة من الملك وليس حقا من حقوق الشعب ، ونص صدقي في هذا الدستور على انه غير قابل للتعديل لمدة عشر سنين ونقل هذا الدستور جميع الحقوق الشرعية التي للبرلمان الى الحكومة وذلك في غيبة المجلس النيابي . من أجل ذلك قامت المظاهرات التي استشهد فيها كثيرون من طلبة الجامعة واتفقت الاحزاب السياسية على مقاطعة الانتخابات التي اعلن عنها صدقي ، وظهرت فكرة الائتلاف بين الاحزاب . وتألفت (الجبهة الوطنية) التي استطاعت ان تعيد دستور سنة ٩٢٣ برغم محاولات الانجليز واظهارهم عدم الرضى عن هذا الدستور وتم للمصريين ذلك في عام ١٩٣٥ .

معاهدة التحالف بين مصر وانجلترا سنة ١٩٣٦

وفي العام التالي لاعادة الدستور المصري عقدت بين مصر وانجلترا معاهدة في السادس والعشرين من آب (اغسطس) سنة ١٩٣٦ ، وبها

اصبح لمصر استقلال مقيد بمعاهدة سنة ١٩٣٦ بعد اذ كان لها استقلال مقيد بتصريح ٢٨ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٢ ، ومنذ ذلك الوقت اصاب الحركة الوطنيــة نوع من التميـع انعكست صورته على الصحافة ، وكان لكل حزب سياسي صحفه التي تدافــع عن وجهة نظره ، وتهاجم غيره من الاحزاب الاخرى ، وكثر اغراء الصحف لكبار الكتاب بالمال وظهر التذبذب السياسـي في اقلام اولئك الكتاب ، وفسدت اداة الحكم في مصر وضج الشعب من هذا الفساد وامتلأت نفوس الشباب بالسخط ، وتنوّعت وجهات النظــر في الكفاح ضد هذه الحالة السيئة فكان ثم كفاح سياسي وكفاح ديني وكفاح فكري وظهرت انطباعات ذلك في الجرائد المصرية والمجلات المصرية ، ومنها على سبيل المثال :

١ـ الصرخة ، لسان حال الجماعة المعروفة (بمصر الفتاة) صدرت في عام ١٩٣٣ وعطلتها الحكومة فاصدرت الجماعة بديلا عنها :

٢ـ صحيفة (الضياء) سنة ١٩٣٦ .

ثم ظهرت باسم هذه الجماعة ايضا :ـ

٣ـ (الثغر) سنة ١٩٣٧ . واخيرا :

٤ـ صحيفة (مصر الفتاة) وذلك بعد ان تحولت هذه الجماعة الى حزب سياسي سنة ١٩٣٨ .

وكانت كل هذه الصحف تصــدر اسبوعية وفي حجم النصف المعروف باسم (تابلويد) . وكان يشترك في تحرير هذه الصحف كلها

(احمد حسين رئيس الحـزب وفتحي رضوان ونور الدين طراف ومحمد صبيح) .

وكل هذه الصحف تنم عن الثورة السياسية لتلك الفترة . وقد ظهرت الى جانبهـا صحف تنم عن هذه الثورة ايضـاً وعن ثورة اخرى فكرية ودينية ومنها :ـ

١ــ الطائف

وهي صحيفة اسبوعية اصدرها يوسف حلمي واحمد سعد الدين كامل سنة ١٩٣٧ ، وكانت لها فوق ذلك مشاركة قوية في محاربة الاوضاع السياسية الفاسدة ، غير انها لم تدم طويلا .

ثم من هذه الصحف التي كانت تنم عن السخط على الحالة القائمة :

٢ــ جريدة الاخوان المسلمين

اصدرها الشيخ طنطاوي جوهري ، اسبوعية ، صدرت عام ١٩٣٣ ، ثم انتقل امتيازها بعد ذلك الى الشيخ حسن البنا وتحولت الى صحيفة يومية تهتم اهتماما كبيرا بالشؤون الدينية ، وكان لها اعمق الاثر في الشباب المصري الذي وجد فيهـا متنفسا عما يشعر به من السخط أو الغيظ .

ومن صحف الاخوان المسلمين كذلك :

٣ــ النذير

وهي صحيفة اسبوعية صدرت عام ١٩٣٨ ، وكانت سياسـية

اكثر منها دينية . ثم اعتزلت جماعة الاخوان المسلمين وانضمت الى جماعة دينية اخرى باسم (شباب محمد) واصبحت تعبر عنها . وكانت هذه الجماعة الاخيرة تضم اليها اعضاء من جماعة الاخوان المسلمين واعضاء في نفس الوقت من جماعة مصر الفتاة .

موقف الصحافة المصرية من معاهدة ١٩٣٦

دعت الصحف المصرية الى عقد هذه المعاهدة وكانت تأمل فيها خيرا وبدأت المفاوضات من أجل هذه الغاية ، وكان الجانب المصري ممثلا لجميع الاحزاب المصرية فيما عدا الحزب الوطني الذي استمر على مبدئه القائل (لا مفاوضة الا بعد الجلاء) ، وتم توقيع المعاهدة في السادس والعشرين من شهر اغسطس (آب) ١٩٣٦ .

وكان اسوأ ما في المعاهدة امران :ـ

اولهما ـ يتصل بمسألة السودان ، وينظر اليه على انه مستعمرة انجليزية بها جيش مصري ، ولهذا الجيش قائد انجليزي .

ثانيهما ـ يتصل بالشروط العسكرية التي منها على سبيل المثال :

١ـ زيادة المناطق العسكرية التي تحتلها القوات البريطانية بعد المعاهدة عما كانت عليه قبل المعاهدة .

٢ـ تحديد عدد القوات البريطانية في مصر في وقت السلم بعشرة آلاف جندي واربعة الاف طيار الخ ..

٣ـ بناء ثكنات عسكرية للقوات البريطانية في مصر على نفقتها ، أي على نفقة مصر .

من أجل ذلك وقفت الصحف الوطنية موقف المعارضة الشديدة لهذه المعاهـدة . ومن اولاها اذ ذاك صحيفة (البـلاغ) ، فقد وجهت نقـدا شديدا للمعاهدة وساعدها على ذلك ان صاحبهـا عبدالقادر حمزه كان قد خرج من الوفد احتجاجا على تصـرفاته السياسية التي نتج عنها اول تصدع في جبهة الوفد سنة ١٩٣٢ .

وكان من الصحف المعارضة كذلك للمعاهدة صحيفة (السياسة) لمحررها الدكتور محمد حسين هيكل ، وقد حاربت هذه الصحيفة نصوص المعاهدة محاربة قوية .

ومن الصحف المعارضة للمعاهدة ايضا صحيفة (الضياء) وهي من صحف مصر الفتاة كما تقدم وقد وقفت موقف السخط على هذه المعاهدة ونشر بها عباس محمود العقاد مقالات عنيفة حمل فيها على المعاهدة ، أما صحف الحزب الوطني فقد اعتبرت المعاهدة باطلة من اساسها .

اما الاهرام فقد افسحت صدرها لمختلف الكتاب الذين عبروا عن آرائهم في المعاهدة ، فنهم من كان يعارضها بقوة ، ومنهم من كان يرى فيها بعض المزايا السياسية الـتي منها اتفاق الجانبين المصـري والانجليزي على الغاء الامتيازات الاجنبية .

واما صحيفة (المقطم) ومعها صحف الوفد اذ ذاك فقد رحبت وهللت وكبرت لهذه المعاهـدة ، ووصفها الرئيس مصطفى النحاس يومئذ بانها (وثيقة الشرف والاستقلال) ثم اثبتت له الايام عكس ذلك ، وطالب هو بالغائها في اكتوبر سنة ١٩٥١ .

وكان من اشهر صحف تلك الفترة - اعني فترة انتكاس الدستور - كذلك ما يلي :

١ – البلاغ الجديد

وهي جريدة يومية اصدرها عبدالقادر حمزة بعد عام واحد من تعطيل البلاغ القديم في عهد صدقي ، وبعد اربع عشرة جريدة عطلت له كذلك واشترك في تحرير البلاغ الجديد كثيرون منهم زكي مبارك ، وسلامه موسى ، وعبدالقادر المازني ، غير انه منذ العدد الرابع عشر عادت هذه الصحيفة الى اسمها القديم (البلاغ) فقط . وهذه الصحيفة أي البلاغ هي التي عارضت معاهدة سنة ١٩٣٦ كما قدمنا ، وهي التي حاربت فساد الحكم في مصر وفساد الحياة الحزبية ايضاً وحاربت التملق السياسي الذي حل محل النقد السياسي ، ثم هي الصحيفة التي اخذت تناوىء الوفد بعد ان انحرف عن طريقه وتساهل في حقوق الامة وادى ذلك كله الى استهتار الانجليز بالحركة الوطنية .

٢ – الجهاد

وهي جريدة يومية اصدرها محمد توفيق دياب سنة ١٩٣١ ، وكانت هذه الصحيفة فيما مضى من الاساحة التي حارب بها الوفد حكومة اسمعيل صدقي ، ولهذه الصحيفة كزميلتها (كوكب الشرق) ميول واتجاهات عربية اسلامية ، واشترك في تحريرها كل من طه حسين . وعباس محمود العقاد ومحمود عزمي . وتوقفت عن الصدور سنة ١٩٣٨ . .

٣ – روز اليوسف (اليومية)

صدرت سنة ١٩٣٥ وكانت وفدية اول الامر، ثم اختلفت مع الوفد فاعلن هذا الحزب براءته منها وحاربها فاضطربت احوالها وبقيت على ذلك حتى اصدرت احدى حكومات الوفد قراراً بالغائها سنة ١٩٣٧، وكان يكتب فيها عباس محمود العقاد ومحمود عزمي وكامل الشناوي.

٤ – المصري

وهي صحيفة يومية صدرت عام ١٩٣٦ واشترك في اصدارها محمود ابو الفتح ومحمد التابعي وكريم ثابت، وكانت تبدو محايدة في سياستها اول الامر ثم اصبحت متطرفة بعد ذلك. واعتمد عليها الوفد كثيرا بعد أن فقد اكثر صحفه التي سبقت الاشارة اليها.

٥ – الوفد المصري

صحيفة يومية كانت لسانا رسميا للوفد في سنة ١٩٣٧، وكانت اكثر الصحف الوفدية تطرفا وتعصبا لهذا الحزب السياسي، وان كانت في الوقت نفسه في مستوى اقل من مستوى زميلتها (صحيفة المصري) واقل كذلك من مستوى الصحف الوفدية الاخرى.

٦ – الدستور

وهي صحيفة يومية صدرت عام ١٩٣٨ وذلك باسم (الهيئة السعدية) التي انشقت عن الوفد المصري وتم تكوينها بهذا الاسم

برئاسة الدكتور احمد ماهر ومن بعده برئاسة محمود فهمي النقراشي. وكان يرأس تحرير هذه الصحيفة الاستاذ محمد خالد وكانت عنايتها مقصورة على محاربة الوفد.

وهناك صحف اخرى لم تكن لها اهمية الصحف التي اشرنا اليها وكان بعضها يمثل وجهة نظر القصر الملكي ومنها - كما سبق ان ذكرنا ذلك - (صحيفة الشعب) التي صدرت عام ١٩٣٦ بامر من اسمعيل صدقي وهي الصحيفة التي قلنا انها لم تنجح كما لم تنجح زميلتها (صحيفة الاتحاد) التي كانت تعبر كذلك عن اتجاهات القصر والتي ظهرت عام ١٩٣٥ .

المهم اننا نسجل هنا ملاحظة تاريخية لها اهميتها ، وخلاصة هذه الملاحظة ان الصحف المصرية لتلك الفترة تركزت كلها في مدينة القاهرة ولم تصبح مدينة الاسكندرية منافسة للقاهرة في شيء من ذلك ، واختفت من هذا الثغر جميع الصحف فيما عدا صحيفة صغيرة هي صحيفة (البصير) التي استحالت الى صحيفة تجارية خالصة وبعض الصحف التي تنتمي الى الجاليات الاجنبية المقيمة في مدينة الاسكندرية .

الفصل السادس عشر

الصحافة المصرية
بعد الحرب العالمية الثانية

قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، فعمدت انجلترة الى تطبيق معاهدة ١٩٣٦ والانتفاع بها الى آخر درجة ممكنة ، ووضعت انجلترة لذلك لنفسها سياسة جديدة أزاء الاحزاب السياسية الموجودة في مصر وهي سياسة الاعتماد التام على (حزب الوفد) دون سائر الاحزاب ، وذلك بالرغم من عوامل الانحلال التي بدأت تنخر في هذا الحزب قبل هذا الوقت . وكان القصر الملكي قبل قيام الحرب بعامين - اعني منذ تولي فاروق سلطته الدستورية بعد وفاة والده عام ١٩٣٧ - يقوم بدعاية واسعة النطاق للملك وكان الغرض من ذلك اظهار فاروق بمظهر الملك الصالح أو الملك الغيور على الشعب ، وبلغت

هذه الدعاية ذروتها في حادث ٤ فبراير (شباط) عام ١٩٤٢ وفيه حشد الانجليز دباباتهم حول قصر عابدين ، واجبروا الملك على تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة ، فاذعن الملك لهذه الارادة وجاءت الوزارة الوفدية على اسنة حراب الانجليز - كما وصفها اعداء الوفد بهذا الوصف - وتأثرت الصحف المصرية بحادث وقوع الحرب العالمية الثانية واخذت تنسحب من الميدان واحدة تلو الاخرى ، فاختفت صحف (السياسة) وهي جريدة الاحرار الدستوريين ، و (العلم المصري) وهي من جرائد الحزب الوطني وصحيفة (مصر الفتاة) . واختفت كذلك مجلة (اللطائف المصورة) .

وجاء حادث ٤ فبراير (شباط) ١٩٤٢ عاملاً آخر من عوامل انصراف الصحف عن الامور الجدية واكثر من ذلك اننا رأينا بعض الصحف تناصر حركة القصر الملكي ، فكانت مجلة (آخر ساعة) من جانب و (اخبار اليوم الاسبوعية) من جانب آخر مسرحاً كبيراً لهذه الحركة .

ومضت الصحافة المصرية في سياستها الجديدة تجاه الملك ، ومضى الملك من جانبه في الاعتماد على حكومة الوفد ، واختفت المسؤولية الوزارية وضعفت الروح الدستورية ، وفسدت اداة الحكم ، وانهارت الاخلاق ، وبلغت هذه الحالة ذروتها في الوقت الذي اشترك فيه الجيش المصري في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

وكانت هذه الحرب في ذاتها تجربة مريرة كشفت للمصريين بنوع

خاص عن جميع المساوىء التى اشرنا اليها .

غير انه بالرغم من سوء الحالة التي وصلت اليها البلاد اذ ذاك فكرت الصحف المصرية في العودة الى نشاطها الاول فاخذت تطلب باعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦ كما نشطت في الدعوة الى انماء الوعي العربي الذي اقترن بظهور مشكلة فلسطين ، وانتهزت الصحافة المصرية لكل ذلك فرصة انتهاء الحرب العالمية وظهور بوادر السلام ورفع الاحكام العرفية وهناك سمة اخرى لضعف الصحافة المصرية في تلك الفترة وهي غلبة المواد الاخبارية وعناية الصحف بها اكثر من عنايتها بالمقال الصحفي ، والواقع ان الصحف المصرية لم تكن في ذلك بدعا بين صحف العالم كله ، فقد بدا للناس ان (عصر المقال) قد اختفى وحل محله (عصر الخبر) .

أجل ، زادت عناية الصحف بالاخبار الخارجية والاخبار الداخلية واصبحت اكثر اهتماما باخبار الدول العربية وحوادثها ، مثل حركة رشيد عالي الكيلاني بالعراق عام ١٩٤١ واشتباك الفرنسيين باللبنانيين منذ عام ١٩٤٣ ، وساعد كل ذلك على توعية الشعب المصري بالقومية العربية من جهة وعلى زيادة الشعور بسوء الحالة الراهنة من جهة ثانية .

غير ان هذا السخط الذي شمل اكثر طبقات الشعب لم تعبر عنه الصحافة المصرية في ذلك الوقت قدر ما عبر عنه الشباب المصري الذي اشترك في حوادث الاضراب والارهاب التي كان من نتائجها اغتيال (احمد ماهر) و (امين عثمان) سنة ١٩٤٥ وغير ذلك من

الحوادث التي كان يعبر بها الشعب عن سخطه على الملكية من جهة والاستعمار من جهة ثانية .

ويحسن بنا هنا الاشارة الموجزة الى بعض الصحف التي اقترنت بهذه الفترة ومنها :ـ

الكتلة الوفدية

انشأها مكرم عبيد سنة ١٩٤٤ بعد انشقاقه على حزب الوفد وتأليفه حزبا سياسياً جديداً باسم الكتلة الوفدية سنة ١٩٤٢ ، وقد افسحت هذه الجريدة صدرها لعدد كبير من شباب الصحافة الذين ارادوا ان يجعلوا منها جريدة رأي ، وذلك في وقت اتجهت فيه جميع الصحف ـ كما قلنا ـ الى الخبر ، ثم اختفت هذه الجريدة سنة ١٩٤٩ .

اخبار اليوم

اصدرها التوأمان مصطفى امين وعلي امين في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٤ ، صدرت هذه الصحيفة اسبوعية ولكن في حجم الجرائد اليومية ، وتجمع بين خصائص هذه وتلك ومن هنا كتب لها النجاح والتفوق ، والحقيقة انه كان لهذا التفوق اسباب اخرى تتصل بالفن الصحفي الذي برع فيه التوأمان براعة لا تحتمل الشك .

ومالت هذه الصحيفة في أول امرها الى القصر الملكي وحاربت الوفد ثم تحولت فجأة الى النقيض وسلكت في ذلك طرقا انقذتها من الوقوع تحت طائلة القانون ، ومع ذلك عارضتها صحف الوفد وهاجمتها واتهمتها بعدم الولاء للملك .

وكانت (اخبار اليوم) من اقوى الصحف التي نادت بانتهاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وشاركتها في ذلك (مجلة آخر ساعة) بعد ان اشتراها مصطفى امين من محمد التابعي سنة ١٩٤٦ ، وزاد ذلك في رواج الصحيفتين معا .

وكان من حسنات اخبار اليوم انها استكتبت كثيرا من اشهر الادباء في مصر في ذلك الوقت مثل : توفيق الحكيم ، وابراهيم عبدالقادر المازني ، ومحمود عزمي ، ومحمد التابعي ، وزكي عبدالقادر ، وكامل الشناوي ، وعباس محمود العقاد ، وغيرهم . كما كان من حسناتها كذلك انها انتفعت بجهود الرسامين البارزين مثل (صاروخان) و (رخا) .

صوت الامة

وهي صحيفة يومية سياسية صدرت عام ١٩٤٦ ، وحلت اذ ذاك محل صحيفة الوفد المصري ، وكان الوفد يعتمد على صحيفة صوت الامة بعد اقصائه عن الحكم وبعد تخلي كثير من الصحف الوفدية عن هذا الحزب واشتركت هذه الصحيفة في الدعوة الى اعادة النظر في معاهدة سنة ١٩٣٦ والدعوة الى تصفية الاحتلال البريطاني ولكن في الوقت نفسه مالت الى القصر الملكي ، وكان ذلك من عوامل اختفائها .

وظهرت كذلك صحف كثيرة منها :

الشعراء

اصدرها ياسين سراج الدين سنة ١٩٤٧ وكانت من الصحف الوفدية .

بعورى

صدرت في اواخر عام ١٩٤٤ باسم الهيئة السعدية التي كان يرأسها الدكتور احمد ماهر وتلاه في رئاستها محمود فهمي النقراشي .

الاساس

صدرت عام ١٩٤٧ - يومية سياسية تتحدث باسم الهيئة السعدية ، وفي هذه الصحيفة نشر عباس محمود العقاد كثيرا من المقالات العنيفة التي هاجم فيها الرئيس مصطفى النحاس .

صحف القصر

اما القصر الملكي ومعه الاستعمار فلم تعد لهما جريدة تتحدث باسمهما عدا صحيفة المقطم المعروفة ، بل ان هذه الصحيفة كانت تعني اذ ذاك بالقصر اكثر من عنايتها بدار المندوب السامي البريطاني .

وبقي الحال على ذلك حتى صدرت :

الزمان

اصدرها (ادجار جلاد) احد رجال القصر الملكي حينذاك ، وصدرت يومية سياسية سنة ١٩٤٧ ولها من الامكانيات المادية

ما ارتفع بها الى مستوى الصحف الكبرى .

ونذكر ايضاً الصحف التالية :

١ـ مصر الفتاة ، عادت اسبوعية عام ١٩٤٤ تنادي بالاشتراكية وتحارب الفساد بكل قواه .

٢ـ اللواء الجديد ، اصدرها فتحي رضوان في اواخر عام ١٩٤٤ وقد دعت هذه الصحيفة الى احياء مبادىء الحزب الوطني ، وكان لها فضل المشاركة في التعبير عن سخط البلاد على الاوضاع القائمة .

٣ـ الاخوان المسلمين ، صدرت يومية عام ١٩٤٦ ، دعت الى قيام حكومة اسلامية تحارب الاحتلال والفساد والحزبية ، وقد عطلت عام ١٩٤٨ .

٤ـ البعث ، مجلة شهرية اصدرها الدكتور محمد مندور في اواخر عام ١٩٤٤ وتعطلت في سنة ١٩٤٦ .

٥ـ الشهاب ، مجلة شهرية اصدرها الاستاذ حسن البنا رئيس جماعة الاخوان المسلمين ، وعاشت من عام ١٩٤٧ الى سنة ١٩٤٩ .

* * *

حرب فلسطين واثرها على الصحافة المصرية

نجح الاستعمار في اغتصاب فلسطين واعطائها لقمة سائغة لاسرائيل فثارت الخواطر لهذا الحدث المؤلم ولكن الفساد كان يسري في البلاد

المصرية معتمدا يومئذ على القصر الملكي من جانب وعلى الاستعمار نفسه من جانب آخر .

اذ ذاك لم تجد الصحف المصرية امامها غير طريق واحد وهو تشجيع الشباب المصري على الانضمام الى كتائب المتطوعين للكفاح من اجل فلسطين ، ثم اشتركت الجيوش العربية في محاربة اسرائيل وانهزمت لاسباب معروفة للجميع ، وكثرت حوادث الارهاب بعد ذلك ، وكان من نتائجها حل جماعة الاخوان المسلمين وقتل النقراشي رئيس الهيئة السعدية بعد احمد ماهر ، وكان من اثارها كذلك تتابع الوزارات المصرية التي انتهت بوزارة حسين سري ، وهي الوزارة التي اجرت الانتخابات ، وفيها فاز الوفد بالاغلبية الساحقة .

وجاءت الوزارة الوفدية فالغت الاحكام العرفية التي كانت مفروضة على البلاد في اثناء الحرب الفلسطينية ، ومن ثم استأنفت الصحافة المصرية نضالها الوطني الذي اقترن بظهور صحف منها :

١ — آخر لحظة

صدرت في عام ١٩٤٩ ملحقا بمجلة آخر ساعة ، وكان هذا الملحق في الواقع مصغراً لجريدة (الاخبار) اليومية التي صدرت قبل ثورة يوليه (تموز) سنة ١٩٥٢ بشهر واحد فقط .

٢ — الشعب الجديد

صدرت اسبوعية عام ١٩٥١ لصاحبها ابراهيم شكري عضو

الحزب الاشتراكي وهي من الصحف الاسبوعية الناطقة باسم مصر الفتـاة .

٣ـ الدعوة

صحيفة اسبوعية من صحف الاخوان المسلمين ، اصدرها صالح عشماوي سنة ١٩٥١ .

٤ـ الجمهور المصري

اصدرها ابو الخير نجيب عام ١٩٥٠ ، وكانت مثالا من امثلة الصحف التي تعتمد على عنصر الاثارة والتي تبتعد كذلك كثيرا عن آداب مهنة الصحافة وتتاجر احيانا باعراض الناس ونحو ذلك .

٥ - روز اليوسف

لقد قامت هذه المجلة باخطر حملة صحفية في تاريخ الصحافة المصرية كان لها ابعد الاثر في الحياة المصرية وكانت في حقيقتها نقطة تحول في تاريخ الصحافة ، لانهـا كانت من العوامل التي قضت على عهد الملكية ، كما كانت من العوامل التي ادت الى ثورة الجيش في ٢٣ يوليه (تموز) سنة ١٩٥٢ .

في هذه الحملة الصحفية كشفت مجلة روز اليوسف عن صفقات الاسلحة الفاسدة التي عقدها الملك فاروق وعدد من رجال القصر وضباط الجيش .

وعن هذا الحادث الخطير قدم عضو الشيوخ (مصطفى المراغي) استجوابا للحكومة الوفدية ، وبسبب هذا الاستجواب ابعد عن المجلس .

وبسبب هذه الحملة الصحفية تدخل القضاء المصري في الموضوع ، وبدأ التحقيق مع (احسان عبد القدوس) رئيس تحرير المجلة ، وتدخل القصر الملكي كذلك في التحقيق واتخذت الصحف المصرية كل ذلك ذريعة لمواجهة الملك نفسه ، واشترك في الحملة الى جانب (روز اليوسف) صحف (المصري) و (اللواء الجديد) و (مصر الفتاة) وغيرها ، كما اشترك فيها مكرم عبيد ، ومصطفى مرعي ، ووقف (مجلس الدولة) نفسه موقف المؤيد لهذه الحركة ، فاوحى الملك الى الوزراء بالغاء هذا المجلس ، وثار الشعب المصري على الارادة الملكية اليائسة وحال دون تنفيذها ، فعمد الملك الى اصدار تشريع جديد يقيد حرية الصحافة بما لم تر مثله من قبل ولم توضح له وازداد سخط الشعب المصري على هذه الحالة ، واتسعت الحملات الصحفية بعد ذلك حتى شملت الميادين الاخلاقية والاقتصادية واكثرت من الحديث عن الفلاح المصري وما يعانيه من البؤس والفاقة ، والحديث ايضاً عن العامل المصري وما يقاسيه من طغيان اصحاب رؤوس الاموال .

وساعدت على الشعور بكل هذا السخط حركة اخرى قامت في ذلك الوقت هي حركة النشرات السرية التي كان يصدرها الطلبة

والعمال من جهة والضباط الاحرار من جهة ثانية وشحنت النفوس غيظا وامتلأت بغضا للملكية الفاسدة وحنقا على الفساد وانتهت المأساة بحريق القاهرة في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٢ .

ومهد ذلك كله لقيام حركة الجيش في الثالث والعشرين من شهر يوليه (تموز) ١٩٥٢ وهي الثورة التي تعيشها الصحافة المصرية والصحافة العربية في الوقت الحاضر .

الفصل السابع عشر

التقدم الفنى للصحف المصرية

منذ قيام الحرب العالمية الثانية

قبل ان نترك الكلام عن صحافة الثورة وما تلاها من احداث سياسية انتهت بالمعاهدة المصرية ـ البريطانية لسنة ١٩٣٦ يجمل بنا أن نشير اشارة عابرة الى التقدم الباهر الذي احرزته الصحف المصرية في المجال الفني حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، وقد كان هذا التقدم في المجلات المصرية اوضح منه في الجرائد اليومية .

ومن اشهر هذه المجلات اذ ذاك .

الكشكول

لصاحبها سليمان فوزي .. صدرت عام ١٩٢١ ، وبدت للناس .

محايدة اول الامر ، ثم انزلقت في معارضة الوفد ومهاجمة الاحـرار الدستوريين بعد حادث (الائتلاف) الذي وقع بين هذين الحزبين دفاعا عن الدستور الذي الغاه صدقي واشترك في تحريرها حسين شفيق المصري وابراهيم جلال وغيرهما واحرزت تقدماً فنيا وراجت رواجا عظيما .

روز اليوسف

وقد صدرت سـنة ١٩٢٥ وكانت في اول امرها مجلة فنية ثم مالبثت ان تحولت الى مجلة سياسية للدفاع عن الوفد ضد هجمات (الكشـكول) ثم خرجت على الوفـد كما خرجت شقيقتها اليومية من قبل ، وكما كانت (روز اليوسف) اليومية تعاني من حكومات الاكثرية أو الوفد فكذلك عانت مجلة روز اليوسف الشيء الكثير من حكومات الاقلية ، وكان يشترك في تحريرها (محمـد التابعي) الذي تقدمت المجلة على يده تقدما فنيا كبيرا جعل من حقه ان يحصل على نصف ما تدره من ارباح .

ومن الناحية الفنية الخالصة يمكن النظر الى مجلة روز اليوسف على انها مدرسة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، وفيها تخرج الكثيرون من امثال محمد التابعي وجـلال الحمامصي ومصطفى امين وعلي امين والرسام المشهور باسم (الكسندر صاروخان) والرسام عبد المنعم رخا .

آخر ساعة

اصدرها محمد التابعي عام ١٩٣٤ بعد أن اعتزل العمـل في مجلة

روز اليوسف وكانت آخر ساعة وفدية متطرفة في اول الامر وبقيت على ذلك مدة .

والذي دعانا الى اعادة الاشارة العابرة الى هذه المجلات الثلاث هو ماسبق ان قلناه من انها احرزت ـ ومعها الصحف اليومية التي ظهرت وقتذاك ـ نجاحا كبيرا في المجال الفني .

ومن مظاهر هذا التقدم ما يلي :ـ

اولا ـ اشتراكها جميعا في السخرية اللاذعة والتهكم المرير ، وقد ساعد على ظهور هذا الاسلوب من اساليب التحرير في ذلك الحين صدور الدستور سنة ١٩٢٣ وقد نص نصا صريحا على حرية الصحافة .

كما ساعد على ظهور هذا الاسلوب وجود الاحزاب السياسية في ظل هذا الدستور الذي منح الاحزاب والصحافة كل هذه الحرية .

ثانيا ـ اشتراك الجرائد والمجلات كذلك في التعبير عن هذه السخرية بطريق الصور والرسوم الكاريكاتورية ورسوم الكارتون ، والفرق بينهما ان الكاريكاتور تصوير للاشخاص وتجسيم للملامح التي تميز شخصاً عن آخر أو المبالغة في ابراز هذه الملامح مبالغة واضحة وبذلك يتألف من الرسم الكاريكاتوري ومن الكلمات المصاحبة له نكتة تبعث على الضحك والسخرية .

اما (الكارتون) فهو تعبير عن الحوادث وعن الافكار وعن المواقف التي يقفها بعض الاشخاص أو الهيئات وذلك بقصد توجيه

النقد اللاذع لهؤلاء الاشخاص أو الهيئات أو الاحزاب في مواقفهم وافكارهم ونزعاتهم واتجاهاتهم ونحو ذلك .

ولم تقتصر هذه الرسوم على المجلات الدورية بل شملت الصحف اليومية فظهرت بوضوح في جريدة البلاغ وجريدة السياسة اليومية وجريدة كوكب الشرق وجريدة روز اليوسف اليومية وجريدة المصري ، وشاركت الاهرام كذلك مشاركة ما في هذا المجال .

وليست الاسماء التي ذكرناها للمجلات أو الجرائد المصرية الا امثلة فقط من هذه الصحف والمجلات التى ازدهر منها هذا العدد في الفترتين اللتين تحدثنا عنهما وهما :

فترة انتعاش الدستور وفترة انتكاسه .

وكانت مزدهرة في الاولى اكثر مما كانت في الفترة الاخيرة .

ثالثا ـ عناية الصحف والمجلات على اختلافها بعنصر الصورة الصحفية فظهرت في مجلات دار الهلال بنوع خاص وعنيت هذه المجلات بالصورة الغائرة (أي الطريقة الروتوغرافية) ومنها :

* مجلة المصور التي صدرت عام ١٩٢٩ .

* (كل شيء) التي صدرت عام ١٩٢٥ .

* (الدنيا المصورة) التي صدرت عام ١٩٢٩ .

وهذا كله فضلا عن مجلة (اللطائف المصورة) التي اتبعت نفس

الطريقة الحديثة في التصوير ، ولهذه الاسباب المتقدمة اهتمت الجرائد اليومية بان تكون لكل واحدة منها قسم خاص (بالكليشيهات) بدلا من الاعتماد في ذلك على الدور الخاصة بهذه العمليات في خارج الجريدة .

رابعا ـ اشتراك جميع الصحف والمجلات في التجديد الواضح من حيث الاخراج ، ومن ذلك عنايتها بالعنوانات العريضة (المانشتات) أو الدائرة ، والذي نعلمه من أمر هذه الظاهرة الفنية الحديثة انها بدأت لاول مرة في تاريخ الصحافة المصرية في ملحق من ملاحق الجريدة التي كان يحررها احمد لطفي السيد ، وكان ذلك في الحادي عشر من فبراير (شباط) ١٩١٠ وفي ذلك اليوم صدرت الجريدة وبها العنوان العريض التالي :

(الجمعية العمومية وقناة السويس)

مشيرا الى عدم موافقة هذه الجمعية على مشروع مد امتياز القناة.

خامسا ـ يضاف الى كل ما تقدم تجديد الصحف والمجلات المصرية في الموضوعات والاساليب فضلا عن التجديد في الاخراج والتبويب ، وعن التجديد في الحروف والهيئات الطباعية التي تظهر على صفحات المجلة أو الجريدة .

ولقد أفردت الصحف اليومية ـ فضلا عن المجلات الدورية ـ صفحات للادب والفن والمرأة والزراعة والقانون .. الخ . وكان خروج

الجـرائد الى هذه الافاق التي كانت مغلقة من قبل خطوة موفقة سجلها التاريخ .

سادسا ـ كذلك لا ننسـى الزيادة في عدد الصفحات فبعد ان كانت لاتعدو اربع صفحات فقط زادت في بعض الصحف - كجريدة البلاغ - الى اثنتي عشر صفحة ، و كانت الاخيرة منها مخصصة للصور الفوتوغرافية .

سابعا ــ من التجديد الذي اصاب الصحافة المصرية في تلك الفترة المزدهرة من حياتهـا العودة الى اصدار الصحف الاسبوعية التي تنتمي الى بعض الصحف اليومية ، كما حدث ذلك في البلاغ والسياسة وقد اصدرت كل منهما صحيفة اسبوعية وذلك في عام ١٩٢٦ ، وعاش البلاغ الاسبوعي الى سنة ١٩٣٠ ، كما عاشت السياسة الاسبوعية الى عام ١٩٣١ و اختفتا بعد ذلك .

ونحن نعرف ان المؤيد واللواء سبقت كل منهما البلاغ والسياسة في اصدار المؤيد الاسبوعي و اللواء الاسبوعي .

ثامنا ــ ومن مظاهر التجديد كذلك ظهور المجلات الادبية الخالصة التي اشتركت في حمل لواء النهضة الفكرية اذ ذاك ومنها ـ على سبيل المثال :

مجلة الرسالة ـ التي اصدرها احمـد حسن الزيات . اسبوعية في عام ١٩٣٣ .

ومجلة الثقافة ـ التي صدرت عن لجنة تأليف والترجمة والنشر ،

اسبوعية كذلك ، سنة ١٩٣٩ . وكان يرأس تحريرها الاستاذ احمد امين الاستاذ بكلية الاداب بجامعة القاهرة حينذاك .

ومجلة ابولو الشهرية ـ للدكتور احمد زكي ابي شادي ، للشعر خاصة صدرت سنة ١٩٣٢ .

ومجلتي ـ شهرية كذلك ، لاحمد الصاوي محمد ، عام ١٩٣٤ .

ومجلة الفجر التي اصدرها حسن ذو الفقار عام ١٩٣٦ .

وغني عن البيان أن هذه المجلات الادبية كانت اثرا من آثار النهضة الادبية التي بلغت اوجها في مصر بين عامي ١٩٢٢ ـ ١٩٤٢ ـ نعني في الفترة التي تقع بين الحربين العالميتين الاولى والثانية على وجه التقريب .

وغني عن البيان كذلك أن هذه المجلات الادبية كان ثمرة للصراع بين الاحزاب السياسية التي ظهرت بعد صدور دستور سنة ١٩٢٣ ـ وهو الدستور الذي نص على حرية الصحافة كما سبقت الاشارة الى ذلك. فعندما صدرت مجلة (السياسة الاسبوعية) ملحقة بالسياسة اليومية للدكتور محمد حسين هيكل ـ وذلك في التاسع عشر من شهر مارس سنة ١٩٢٦ تحركت رغبة ملحة في قلب صاحب (البلاغ) ـ وهو الاستاذ عبدالقادر حمزه ـ لاصدار (البلاغ الاسبوعي) فاصدره في السادس والعشرين من شهر نوفمبر من نفس السنة . وعن هاتين المجلتين الكبيرتين نشأت افكار جديدة ودعوات جديدة واتجاهات جديدة . ومنها على سبيل المثال (الدعوة للادب المصري) .

وهي الدعوة التي نادت بها مجلة السياسة الاسبوعية . وكانت في هذا الصنيع امتدادا (للجريدة) التي قام على تحريرها الاستاذ احمد لطفي السيد . وباختصار شديد ـ كانت هاتان المجلتان معرضا لجميع الآراء والافكار التي اقترنت بتلك النهضة .

« وفي البلاغ الاسبوعي ـ بنوع خاص ـ دخل العقاد طورا جديداً من حياته الادبية بعد الطور الاول الذي قطعه في مجلة البيان وصحيفة الجريدة »[1]

ثم ظهر الاتجاه الى التخصص في مجال الادب والنقد وصدرت (الرسالة) لاحمد حسن الزيات سنة ١٩٣٣ واشترك في تحريرها طه حسين واحمد امين وغيرهما من اعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر . وظلوا يشتركون في تحرير (الرسالة) حتى رأوا أن يستقلوا بمجلة خاصة بهم وهي مجلة (الثقافة) .

ثم في نهاية الحرب العالمية الثانية صدرت مجلات ادبية أخرى أخذت تنافس المقتطف والهلال والرسالة والثقافة . ومنها على سبيل المثال :

مجلة الكاتب المصري (١٩٤٥ ـ ١٩٤٨) للدكتور طه حسين .

ومجلة الكتاب (١٩٤٥ ـ ١٩٥٣) للاستاذ عادل الغضبان .

تاسعا ـ ظهور الصحافة المتخصصة :

---

(١) محمد يوسف نجم ـ فن المقالة ص ٧٦ .

ومما لاشك فيه ان ظهور مثل هذه الصحف يعتبر دليلا على تقدم الصحافة. وقد شهدت هذه الفترة عدداً من الصحف الزراعية والقانونية والطبية والنسائية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية ونحو ذلك.

وشاركت هذه الصحف كلها مشاركة قوية في النهضة الاجتماعية والنهضة التعليمية واللغوية، وغيرها وانتفع بها الازهر الشريف والجمعيات التعاونية، وكان لها اثرها الواضح في المجتمع المصري.

واذا ذكرنا الصحافة المتخصصة فينبغي الا ننسى (مجلة الاولاد) وهي مجلة اسبوعية مصورة صدرت عام ١٩٢٣ اصدرها اسكندر مكاريوس، المجلة الاسبوعية المعروفة باسم (الصور المتحركة) التي اصدرها احمد علام الممثل المعروف، نصف شهرية عام ١٩٢٤، ومجلة (المسرح) التى اصدرها محمد عبدالحميد حلمي اسبوعية عام ١٩٢٥، واندمجت هذه المجلة في مجلة (الفكاهة) عام ١٩٣٤ وسميت مجلة الاثنين ثم انفصلت مجلة (الاثنين) عن (الفكاهة) في سنة ١٩٦٠.

واما الالعاب الرياضية فقد استأثرت كذلك باهتمام بعض الصحف المنتمية الى تلك الفترة ومنها (مجلة الالعاب الرياضية) اصدرها فؤاد غطاس سنة ١٩٢٣.

عاشرا - من معالم التقدم الفني الذي احرزته الصحافة المصرية في تلك الفترة من حياتها ظهور آلات الجمع السطرية المعروفة باسم

(اللينوتيب) (والانترتيب) بدلا من الجمع اليدوي وظهور حروف جديدة اصغر حجما ولكنها اكثروضوحا من الحروف القديمة ، وبفضل هذه الحروف الجديدة اتسعت الصحف كلها لمادة اكثر مما كانت تتسع له في الماضي .

حادي عشر ـ اما من حيث التوزيع فقد شمله التجديد كما شمل غيره من الميادين فقد كان توزيع الصحف بايدي فئة يقال لها (المتعهدية) كثيرا ما كانت تعمد الى طرق غير نزيهة في التلاعب ببعض الصحف، ولذلك فكرت صحيفة الاهرام في سنة ١٩٣٥ بتأسيس شركة توزيع خاصة بها ، وسرعان ماتبعتها (دار الهلال) في ذلك ثم سرت العدوى الى بقية الصحف .

واما الاعلان فقد نشط نشاطا ملحوظا في تلك الفترة وساعد هذا النشاط ظهور الشركة الاعلانية المعروفة باسم (كليماكس) عام ١٩٢٤ ، والشركة المعروفة باسم (الاعلانات المتحدة) سنة ١٩٣١ ، واختطت بعض الصحف اذ ذاك ـ كالاهرام ـ لنفسها خطة جديدة تقوم على فصل مكاتب الاعلان فيها عن مكاتب الادارة وتم لجريدة الاهرام تنفيذ ذلك عام ١٩٣٢ [١] .

ثاني عشر ـ محاولة بعض الصحف الكبرى التميز على غيرها من الصحف بالاتفاع بوكالة انباء عالميـة . بحيث يمكن لهذه الوكالة أن تخص هذه الجريدة المصرية الكبيرة بالاخبار التي لا تصل الى

---

(١) احمد حسين الصاوي . خطوط في تاريخ الصحافة المصرية .

الصحف الاخرى الا عن طريق الصحيفة الكبيرة التي امتازت بهذه الميزة .

والمثال على ذلك جريدة الاهرام المصرية التي احتكرت لنفسها احدى الوكالات العالمية . وذلك قبل ثورة الثالث والعشرين من شهر يولية (تموز) سنة ١٩٥٢ .

اما بعد الثورة فقد تغير الحال واصبحت الصحف ـ طبقاً لقرار التنظيم الصادر في سنة ١٩٦٠ ـ ملكا للاتحاد الاشتراكي العربي . واذ ذاك انشئت وكالة انباء الشرق الاوسط . ثم تحولت هذه المؤسسة إلى وكالة عالمية عربية للانباء يقال ان مقرها سيكون في دار صحيفة الاهرام .

خاتمة

حرية الصحافة المصرية
بين المد والجزر

هناك حقائق ينبغي أن نلفت النظر اليها عند الحديث عن حرية الصحافة في أي بلد من البلاد أو في أي عصر من العصور .

الحقيقة الاولى ـ انه لا وجود لحرية الصحافة بالمعنى الصحيح الا في مجتمع ديموقراطي يستطيع التخلص من سيطرة رأس المال من جهة ، ومن سيطرة الحكام من جهة ثانية . ولكن أين هذا المجتمع الديموقراطي الصحيح الذي يطلق للصحافة حريتها الكاملة ؟ الواقع انه لا وجود لهذا المجتمع في عالمنا هذا . ولكن هل معنى ذلك أن الحرية الصحفية -- بصورة او باخرى - مفقودة من العالم ؟ الاجابة عن ذلك ان هذه الحرية موجودة بشكل ما . ولكنها مقيدة في كل شكل من الاشكال .

(١٢)

الحقيقة الثانية ان الصحافة - وهي صانعة الشعوب كما يقولون - قائدة ومقودة ، مؤثره ومتأثره . ومعنى ذلك أنه لا ينبغي لنا ان نجعل من الصحافة شهيدة . ولا ينبغي لنا أن نجعل منها معبودة. بل ينبغي أن ننظر اليها بعين الانصاف . فلا نلقي عليها كل اوزار الانحرافات التي تظهر في المجتمع . كما لا ينبغي ان نضيف اليها وحدها فضل استقامة الحياة في المجتمع . ان الشعب دائما نريك الصحافة في هاتين الناحيتين معا .

الحقيقة الثالثة - ان الصحافة لا تمثل الرأي العام في كل الاوقات. ذلك ان الصحف كثيرا ما تعاني ضغوطا كثيرة تحول بينها وبين اداء الواجب الملقى على عاتقها .

الحقيقة الرابعة - أن الصحافة هي حق المواطنين في ابداء آرائهم في شؤون المجتمع وسياسة الحكومة تعبيراً مبنياً على قاعدة واحدة هي الحرية . والصراحة . ولكن النظرة الواقعية الى الصحف تثبت لنا ان هذه الحرية لا يتمتع بها الا نفر قليلون يعدون على اصابع اليد ؛ وهؤلاء النفر هم رؤساء تحرير الصحف .

الحقيقة الخامسة - ان الصحافة الى جانب كونها حرة ولكن هذه الحرية مقيدة في نفس الوقت .

يمكن ان ننظر الى تاريخ الصحافة المصرية على أنها مرّت الى الآن في خمس مراحل :

المرحلة الاولى - من سنة ١٨٢٨ - ١٨٦٧

المرحلة الثانية - من ١٨٧٦ - ١٨٨٢

المرحلة الثالثة ــ من ١٨٨٢ ـ ١٩١٩

المرحلة الرابعة ــ من ١٩١٩ ـ ١٩٥٢

المرحلة الخامسة ــ من ١٩٥٢ ـ الى الآن .

وقبل ان نوجز الكلام في كل مرحلة من هذه المراحل يجب أن نشير الى القيود التي وضعت في عنق الصحافة المصرية منذ نشأتها في صورة قوانين أو تشريعات صحفية . وهنا نقول :

« يكاد اجماع الفقهاء والباحثين ينعقد على أن المطبوعات ـ وفي مقدمتها الصحافة ـ وجدت في قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٨١ ـ أول تشريع ينظم شؤونها ويضبط مسائلها . ولا يعد هذا الرأي مبالغاً فيه اذا نظر الى قانون سنة ١٨٨١ على أنه اول اداة تشريعية مصرية سايرت نشاط الصحافة وسائر المطبوعات في مختلف مراحلها . فتعرضت للتحرير ، كما تعرضت للطبع والنشر والتوزيع » .[1]

ولكن ليس معنى ذلك بطبيعة الحال ان قانون سنة ١٨٨١ كان أول تشريع مصري للصحافة . فقد سبقته تشريعات اخرى كثيرة نشير اليها باختصار فيما يلي :

اولا ــ التشريع الذي اصدره محمد علي في ١٣ يوليه (تموز) سنة ١٨٢٣ وفيه يحرم طبع أي كتاب في مطبعة بولاق الا باذن خاص من (الباشا) .

---

(١) ابراهيم عبده ــ تطور الصحافة المصرية ــ الطبعة الثالثة ــ ص ٢٠٩ .

ومعنى ذلك ان هذا القانون خاص بالكتب فقط . أما الصحف « فكانت علاقة محمد علي بها علاقة صاحب البيت ببيته » [1] . اي انه كان يشرف عليها بنفسه ولم يكن في حاجة الى تشريع ينظم هذه العلاقة .

ثانيا — في عهد سعيد صدر تشريعان احدهما خاص بالمصريين . والثاني خاص بالاجانب . وكلاهما يشمل الكتب والصحف في وقت معا . ولذلك نص التشريع الاول منهما في المادة الثانية من مواده على (الا تطبع او تنشر جرانيل (يريد جرائد) وغازيتات (وهي الصحف ايضاً) واعلانات بدون استحصال (اي الحصول) على الرخصة من ديوان الداخلية . ومن فعل ذلك بدون استئذان تغلق وتسد المطبعة) أي ان القرار جمع بين الكتب والصحف والرسائل والاعلانات. ويقال ان سعيدا في تشريعاته الصحفية كان متأثرا بقانون التنظيمات الصحفية الذي صدر في الآستانة في ٦ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٥٧ . وكانت المادة الاولى من مواد التشريع العثماني المذكور تقول :

« يجب الامتناع بتاتا عن كل نقد لاعمال الحكومة » ومن اجل ذلك انشأ سعيد في نظارة الخارجية مايسمى « بمكتب الصحافة » وأوجب على هذا المكتب مراقبة الاخبار التي تنشرها الصحف ومراقبة الافتتاحيات كذلك .

---

(١) نفس المصدر المتقدم ص ٢٦١ .

غير ان «مكتب الصحافة» لم يكن يعامل المصريين والاجانب على قدم المساواة . بل كان يتحيز للاجانب ويتعسف في معاملة المصريين. وهكذا حرمت الصحافة المصرية في عهد سعيد نعمة الحرية ونعمة المساواة . ولم تكن مقيدة بالتشريعات المصرية وحدها . بل تقيدت بها وبالتشريعات العثمانية في وقت معا . ومن هذه التشريعات العثمانية تشريع سنة ١٨٥٧ الذي مر ذكره . وتشريع سنة ١٨٦٧ الذي كان صورة من سابقه . وتشريع سنة ١٨٧٠ .

والعجيب ان هذا التشريع الاخير اعترف بحرية الصحافة وحرية المطبوعات . غير ان ذلك انما كان من الناحية النظرية فقط . أما من حيث التنفيذ فلم تستطع الصحافة المصرية أن نفيد منه اية فائدة .

ثالثا — في عهد اسمعيل . أرخى الرجل للصحافة قليلًا من حبل الحرية . ولكنه كان المرجع الاول والاخير في كل مايتصل بالصحف. وفي ٢٦ من شهر اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٨٦٦ وافق اسمعيل على تأسيس (قلم صحافة) يلحق بنظارة الخارجية وذلك للاشراف على الصحافة ومراقبة التحرير والمحررين . وفي ٢٠ من ابريل (نيسان) ١٨٦٩ صدر امر اسمعيل باعادة تنظيم المكتب المذكور . واصبح يتألف من خمسة اعضاء : ثلاثة منهم من الاجانب واثنان فقط من المصريين .

رابعا — اصدر اسمعيل قرارا بان تكون الجرائد والمطبوعات تابعة لنظارة الداخلية ابتداء من ١٣ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٧٨ .

وبهذا القرار كذلك اصبح المشرف على (الوقائع المصرية) له حق الاشراف ايضا على الصحف والمطبوعات الاهلية [1] .

خامسا ـ في الثالث عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٨٣ صدر قانون العقوبات الاهلي وبه جزء خاص بجرائم النشر حددت فيه العقوبات التي تحيق بالصحفيين . ثم عدل هذا القانون بآخر صدر في الرابع عشر من فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤ وذلك لسدّ بعض الثغرات القانونية التي وجدت بالقانون السابق .

سادسا ـ في الخامس والعشرين من شهر مارس (آذار) سنة ١٩٠٩ ظهرت الحاجة الى اعادة العمل بقانون المطبوعات الصادر في سنة ١٨٨١ وذلك في عهد الاحتلال البريطاني الذي أفلس إفلاساً تاماً من الناحية السياسية .

وبموجب هذا القانون الجديد لسنة ١٩٠٩ أصبح من الضروري لكل من يريد القيام بنشر صحيفة من الصحف ان يحصل على ترخيص من الحكومة لهذه الغاية . ثم لم يكتف الاحتلال البريطاني بذلك حتى اصدر في ١٦ يونيه (حزيران) سنة ١٩١١ قانونا باحالة تهم الصحافة الى محاكم الجنايات . وكانت تحال قبل ذلك الى محاكم الجنح [2] . وبذلك حرمت الصحف من التقاضي على درجتين ـ وفق النظام السابق ـ أو بعبارة اخرى ـ حرمت من الدفاع عن نفسها مرتين بدلا من مرة واحدة فقط .

---

(١) المصدر المتقدم ص ٢٧٠ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي ـ محمد فريد ـ ص ١٨٨ .

سابعا ــ نصت المادة الخامسة عشرة من الباب الثاني من الدستور المصري الذي ظهر عام ١٩٢٣ (على ان الصحافة حرة في حدود القانون، وعلى ان الرقابة على الصحف محظورة ، وانذار الصحف أو وقفها أو الغاءها بالطريق الاداري محظور ايضاً ـ الا اذا كان ذلك ضروريا للنظام الاجتماعي) . وبذلك ربحت الصحافة المصرية ربحا عظيما باعتراف الدستور لها بهذا القسط من الحرية . وان كانت هذه الحرية قد دخل عليها الضيم من قبل الجزء الاخير من النص المتقدم . وهو الجزء الذي يقول : الا اذا كان ذلك ضروريا للنظام الاجتماعي .

ثامنا ــ في الثالث والعشرين من اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٣٠ ـ بدأ عهد انتكاس الدستور بعد عهد انتعاش الدستور ـ فظهر مشروع جديد للصحافة . واصدرت الحكومة في الثامن عشر من يونيه (حزيران) سنة ١٩٣١ قانوناً بشأن القذف والسب ـ أو على الاصح تعديلا لقوانين سابقة في هذا الموضوع ـ امكن به تعطيل الجريدة بالطريق الاداري واحالتها للمحاكمة بعد ذلك .

تاسعا ـ القانون الذي صدر في عام ١٩٣٦ وهو القانون الذي الغى ضرورة الحصول على ترخيص للصحيفة أو ضمان مالي لفتح مطبعة ، والاكتفاء باخطار الحكومة بذلك وتقديم بعض النسخ من كل مطبوع قبل البدء في حركة التوزيع . وذلك كله مع تقديم بيانات خاصة عن اصحاب الصحف ومحرريها وناشريها . والمطبعة التي تطبع فيها . وقد تضمن قانون سنة ١٩٣٦ حكما بالغاء النص الخاص بحق اقفال المطبعة أو الغاء الجريدة بالطريق الاداري .

عاشرا ـ صدر قانون نقابة الصحفيين المصريين في نهاية مارس (آذار) سنة ١٩٤١ لصيانة حقوق الصحفيين وتنظيم علاقات الصحافة بالحكومة والجمهور ، والطريقة التي يجازى بها المخالفون او الخارجون على مبادىء المهنة . وقوانينها .

ثم في الخامس من شهر مارس (آذار) سنة ١٩٥١ صدر قانون بانشاء صندوق معاشات الصحفيين .

وفي شهر يونيه (حزيران) سنة ١٩٥١ أوعزت حكومة الوفد الى احد نوابها بتقديم مشروع قانون يبيح للسلطات الادارية تعطيل الصحف والغاءها بالطرق الادارية وقدم المشروع بالفعل الى مجلس النواب ولكن الاعضاء وقفوا ضد هذا المشروع وهاجموه بشدة ، واشتركت معهم الصحافة في هذا الهجوم . وبذلك خرجت الصحافة من هذه الازمة الاخيرة ظافرة بحريتها .

* * *

والآن نعود الى الحديث الموجز عن الصحافة المصرية في مراحلها الخمس التي اشرنا اليها :

المرحلة الاولى

١٨٢٨ – ١٨٦٧

وفيها كانت الصحف رسمية . ومعنى ذلك أن الصحافة المصرية نشأت في أحضان الحكام وكانت من وحيهم ، وصدرت بأموالهم .

ولم نجد من يمثل هذه الصحافة الرسمية من الكتاب المصريين خيراً من رفاعه رافع الطهطاوي في صحيفة الوقائع المصرية وصحيفة روضة المدارس . وكان الهدف الاوحد لهذه الصحافة المصرية في مرحلتها الاولى هدفاً ثقافياً بحتاً . وأما من حيث الحرية فلم تكن الصحافة اذ ذاك تنعم بشيء من الحرية ، ولا كانت تشتمل على أفكار ثورية . برغم أن رائدها (الطهطاوي) شهد في باريس الثورة المعروفة في التاريخ (بالايام المجيدة) . وهي الثورة التي أطاحت بعرش شارل العاشر .

كما شهدت المرحلة الاولى من مراحل الصحافة المصرية كذلك ظهور الصحف الاهلية الى جانب الصحف الرسمية وكانت هذه الصحف يومئذ على ضربين :

الاول ـ صحف يكتبها مصريون كصحيفة وادي النيل (١٨٦٧) وصحيفة نزهة الافكار (١٨٦٩) وصحيفة روضة الاخبار (١٨٧٥) .

والضرب الثاني من الصحف الاهلية ـ صحف يكتبها غير المصريين كصحيفة السلطنة (١٨٥٧) وقد صدرت في مصر لمحاربة سعيد ودفاعاً عن السلطان العثماني . والاهرام (١٨٧٦) ومصر (١٨٧٧) والتجارة (١٨٧٩) والمحروسة (١٨٧٩) وهي الصحف التي كان يحررها السوريون الذين فروا الى البلاد المصرية ليتمتعوا فيها بحرية نسبية ويتخلصوا من ظلم العثمانيين .

وجميع هذه الصحف الاهلية على اختلافها لم تكن تنعم بالحرية ؛ شأنها في ذلك شأن الصحف الرسمية سواء بسواء .

المرحلة الثانية

١٨٧٦ -- ١٨٨٢

وقد حدثت في هذه الفترة القصيرة احداث جسام اهمها مايلي :

١ـ نشوب الحرب الروسية التركية .

٢ـ عزل الخديو اسمعيل عن العرش .

٣ـ ظهور السيد جمال الدين الافغاني غارس بذور الدستور والحرية .

٤ـ قيام الثورة العرابية .

اما (الحرب الروسية التركية) فانها قسمت الصحف المصرية الى قسمين : قسم يشايع الاتراك وقسم يشايع الروس . فجريدة مصر لاديب اسحق كانت تظهر الاعجاب بالترك . وجريدة الوطن لميخائيل عبد السيد اظهرت الاعجاب بالروس . والحكومة المصرية من جانبها تشجع هذه الحرية رغبة منها في التخلص من تقديم المعونة التي يطلبها الاتراك بمناسبة الحرب . وهكذا مارست الصحافة المصرية الاهلية حريتها لاول مرة في تاريخ حياتها .

وأما عزل اسمعيل فقد زاد في جرأة الصحف الاهلية على البيت المالك حتى تطاول ابراهيم اللقاني في صحيفة مرآة الشرق على الامراء ، ورد اليهم الفساد الذي اصاب الحياة المصرية . وحذوت حذوها ـ اعني حذو مرآة الشرق ـ صحف مصر والتجارة في ذلك الوقت .

وأما ظهور جمال الدين فقد كان له اكبر الاثر في اقلام الصحفيين المصريين والسوريين . كما كان له اعظم الاثر في افكارهم التقدمية وفهم معنى الحرية .

وأما نشوب الثورة العرابيــة فقد زاد من جرأة الصحافة على الحكومة . حتى لقد هاجم النديم غريمه اسمعيل . ثم مرض النديم فاعتذر للصحيفة عن القيام بتحريرها (الا ما كان خاصا باسمعيل فانه يكتبه لان في كتابته علاجا لما به من مرض) .

(وخلاصة) القول في المرحلة الثانيةمن مراحل الصحافةالمصرية انها تمثل شباب الصحافة الاهلية وانها تمتعت بقدر كبير من الحرية .

المرحلة الثالثة

١٨٨٢ -- ١٩١٨

وحجر الزاوية في هذه المرحلة هو الاحـتلال البريطاني . وقــد انقسمت هذه المرحلة الى فترات اهمها اثنتان :

الاولى — من ١٨٨٢ الى ١٨٨٩

والثانيــة — من ١٨٨٩ الى ١٩١٨

وفي الاولى منهما أصيب المصريون بذهول عظيم من اثر الصدمة التي شعروا بها بوقوع الاحتلال .

ودام هذا الذهول فترة لا تقل عن عشر سنين عمد الاحتلال في اثنائها الى تعطيل عشرات الصحف وتشريد قادة الثورة .

وفي الفترة الثانية نهضت الصحافةمن عثارها وأفاقت منذهولها ووضعت لها منهاجاً غير مكتوب . وهدف هذا المنهاج هو مقاومة الاحتلال بكل قوة . وذلك في وقت كانت فيه مصر محرومة من السلاح . والمقاومةفي ذاتها تقوى منعضلات الصحافة الاهليةووقع الظلم متى احس به الانسان كان باعثا على المضي في كفاحه الى آخر الشوط .

وقد كان لهذه المقاومة الصحفية التي حلت محل المقاومة الحربية جبهات ثلاث :

جبهة دينية دافعت عن الدين الاسلامي ضد هجمات الاحتلال .

وجبهة اجتماعية اخلاقية طالبت باصلاح التعليم وانشاء الجامعة . كما طالبت بتخليص المصريين منرواسب الاحتلال ، التيهي الشعور بالذل والخنوع وعبارة البسالة والانصياع الاعمى للقوة الممثلة من رجال الاحتلال ونحو ذلك .

(وخلاصة) المرحلة الثالثة انها المرحلة التي أطلق عليها في تاريخ الصحافةالمصرية اسم (الطور الصحافي من اطوار الحركة الوطنية) . وانها المرحلة التي نعمت فيها الصحف بقدر لابأس به من الحرية ، هو القدر الذي اعانها على محاربة الاحتلال .

وقد كان في وسع هذا الاحتلال أن يقابل الصحف المصرية حينذاك بالتعطيل والالغاء . ولكن لم يعمد الى شيء من ذلك طمعا منه في أن يتعرف على حقيقة الاحوال في مصر .

ولكن حدث ما لم يكن للمحتلين في حسبان .

حدث أن اشتدت الصحف في مقاومة الاحتلال حتى كشفت للعالم المتمدن عن سوأته ، وجعلته يقف على حقيقته . وكان من اكبر ابطال تلك الفترة ثلاثة وهم :

السيد علي يوسف صاحب جريدة (المؤيد) والزعيم الشاب مصطفى كامل صاحب (اللواء) واحمد لطفي السيد محرر صحيفة (الجريدة) .

المرحلة الرابعة

١٩١٩ — ١٩٥٢

وهي تنقسم كذلك الى فترتين :

الاولى — فترة انتعاش الدستور

والثانية فترة انتكاس الدستور

وفي رأي الدكتور محمد حسين هيكل تنقسم هذه المرحلة التي نتحدث عنها الى فترتين :

الاولى — فترة الاستقلال المقيد بتصريح ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٢ .

والثانية — فترة الاستقلال المقيد بمعاهدة سنة ١٩٣٦ .

الفترة الاولى — فترة انتعاش الدستور :

كانت الثورة الشعبية الكبرى لسنة ١٩١٩ قد وضعت لها

هدفين لا ثالث لهما : وهما الاستقلال والدستور .

ولذلك نعمت هذه الفترة بحرية صحفية ساعد عليها صدور دستور سنة ١٩٢٣ . وفي هذا الدستور نص صريح يقول (ان الامة هي مصدر السلطات) ونص آخر يقول (ان الحرية مكفولة للجميع) .

وهنا ظهرت عقبات في سبيل الصحافة .

ذلك ان الصحافة الوطنية اذ ذاك كانت تعاني من جبهات ثلاث هي : جبهة القصر ، وجبهة الانجليز ، وجبهة الانقسام الداخلي بسبب المفاوضات الانجليزية المصرية والنزاع بين المصريين على من هو أحق بالقيام بها : الجبهة السياسية بزعامة سعد زغلول ، أو الجبهة السياسية برياسة عدلي يكن أو عبد الخالق ثروت .

وبقيت هذه الجبهات الثلاث وهي أشبه بالاتون الذي تحترق فيه الوطنية المصرية وتصطلي بنارها الصحافة الاهلية .

وفي تلك الفترة ظهرت صحف خطيرة منها :

صحيفة الاخبار — وفيها اخذ امين الرافعي يدافع عن القضية المصرية ـ قضية الاستقلال ـ بكل اخلاص . ويرسم للمفاوض المصري خطة يسير عليها .

وصحيفة السياسة — وفيها وقف محمد حسين هيكل وراء الدستور والحريات واخذ يدافع عنها في شجاعة واصرار وحكمة .

وصحيفة البلاغ — وفيها وقف عبد القادر حمزة وراء سعد زعيم الثورة . كما اخذ يؤيد القوى التقدمية ويحارب القوى الرجعية

وصحيفة كوكب الشرق — وفيها طفق احمد حافظ عوض يتحدث بلسان الوفد . وقد صمد على موقفه هذا الى آخر لحظة .

وصحيفة الجهاد — وفيها صنع توفيق دياب صنيع زميله احمد حافظ عوض واخذ يدافع عن الوفد بوصفه الحزب الذي يمثل أغلبية الشعب .

نعمت الفترة الاولى — فترة انتعاش الدستور — بكل هذه الصحف الوطنية ، وكانت هذه الصحف تعكس جوانب أخرى عدا الجانب السياسي من جوانب الامة . وهذه الجوانب الاخرى هي الادب والعلم والفن ونحو ذلك . وبسبب هذا أزدهرت الحركة الادبية في مصر في ذلك الوقت ازدهاراً لم تعرف مصر مثله في القرن العشرين الى اليوم .

الفترة الثانية — فترة انتكاس الدستور :

في هذه الفترة حدثت احداث أفضت الى هذا الانتكاس. وكان اول هذه الاحداث وأد الدستور على يد اسمعيل صدقي رئيس الوزارة المصرية ، واستبسال الصحافة في سبيل استعادة الدستور وبعثه من جديد مهما كلفها ذلك من تضحية وقدر وأينا كيف ان الاحزاب المصرية كلها — فيما عدا الحزب الوطني الذي يرفض مبدأ المفاوضة مع الانجليز من حيث هو — قد ائتلفت واثمر هذا الائتلاف معاهدة سنة ١٩٣٦ . وفي تلك الفترة التي نشير اليها خاضت الصحف المصرية معركة اخرى ضد الفساد . فهذه صحيفة السياسة لها في ذلك قضية مشهورة باسم (قضية نزاهة الحكم) .

وهذه صحيفة (البلاغ) تحارب المحسوبية والرشوة وقساوة اداة الحكم .

وكان آخر ماشهدته هذه الفترة من الحوادث هو حادث تصدع حزب الوفد ، وتأليف حزب جديد باسم (الهيئة السعدية) . ومن أجل هذا الحزب الاخير ظهرت جريدة (الاساس) لتكون لسانه كما كانت صحيفة (المصري) لسان حزب الوفد . ويستمر الحال على ذلك حتى قيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ .

وفي أثناء ذلك تمارس البلاد استقلالا مقيداً بمعاهدة ١٩٣٦ وهي المعاهدة التي ألغت الامتيازات الاجنبية ، ونفعت انجلترة في الوقت نفسه من الناحية العسكرية .

المرحلة الخامسة

١٩٥٢ — إلى الآن (١)

وهي المرحلة التي لم نشر اليها في غضون هذا البحث الذي وقفنا به عند قيام ثورة الجيش في الثالث والعشرين من شهر يوليه (تموز) سنة ١٩٥٢ . ثم هي المرحلة التي شهدت قانون تنظيم الصحافة سنة ١٩٦٠ . كما شهدت ظهور الميثاق الوطني سنة ١٩٦٢ ولأننا نعيش هذه المرحلة في الوقت الحاضر فانه لا يسوغ لنا أن نتناولها بالبحث التاريخي وذلك اعتمادا على الحجة التي تقول : (المعاصرة حجاب) .

(والخلاصة) ان صحافتنا المصرية من حيث (المسؤولية) قامت بواجبها الثقافي وذلك في المرحلة الاولى من مراحل حياتها كما رأينا .

---

(١) تاريخ الطبعة الاولى ١٩٦٧ .

ثم قامت بواجبها الاجتماعي أي جانب واجبها الثقافي في المرحلة الثانية .
ثم نهضت نهوضاً تاماً بمقاومة الاحتلال البريطاني في المرحلة الثالثة :
ثم ناصرت قضية الاستقلال والدستور بكل قوتها في المرحلة الرابعة .
وفي المرحلة الخامسة قامت تبشر بعهد جديد من عهود مصر هو العهد الاشتراكي .

واما صحافتنا المصرية من حيث (الحرية) فقد رأينا بوضوح ان هذه الصحافة الاهلية تمتعت بحرية صحيحة في الفترات الآتية :

اولاها - المرحلة الثانية بين عامي ١٨٧٦ - ١٨٨٢ وهي بداية الطريق نحو الحرية .

الثانية - الفترة الثانية من فترات المرحلة الثالثة بين عامي ١٨٨٩ - ١٩١٤ - وهي الفترة التي اطلقنا عليها اسم (الطور الصحافي من اطوار الحركة الوطنية) .

الثالثة - الفترة الاولى من المرحلة الرابعة وهي الفترة التي اطلقنا عليها اسم (فترة انتعاش الدستور) .

تلك هي النتائج التي تمخض عنها هذا البحث الذي نقدمه للقراء ونحن نطمع في أن يواصل العلماء والمؤرخون في بقية البلاد العربية كتاباتهم في تاريخ الصحافة العربية تحقيقاً للمشروع العربي التاريخي الذي دعونا اليه . والله الموفق ؟

(١٣)

١ـ فهرس الموضوعات

الاولى (١٨٢٨ ـ ١٨٦٧) ـ ١٨٤ ؛ المرحلة الثانية (١٨٧٦
ـ١٨٨٢) ـ ١٨٦ ؛ المرحلةالثالثة (١٨٨٢ ـ ١٩١٨) ـ ١٨٧
المرحلةالرابعة (١٩١٧ ـ ١٩٥٢) – ١٨٩ ؛ المرحلة الخامسة
(١٩٥٢ ـ الى الآن) ١٩٢ .

٢ ـ فهرس الصحف

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

— ش —

— ص —

— ض —

— ن —

— و —

— هـ —

— ى —

٣ـ فهرس الاعلام

ـ أ ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

— ش —

— ص —

— ط —

— ع —

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

٤ـ فهرس الكتب

ـ أ ـ

ـ ت ـ